الرابطة

السنة ٥٦ العدد ٦٤٥ شوال ١٤٤١هـ - يونيو ٢٠٢٠م

«بالتي هي أحسن»
يتصدر لائحة البرامج الدينية
الأكثر متابعة في رمضان

التعايش الحضاري في الإسلام
وسبل ترسيخه

القوة القاهرة التي غيرت وجه الحياة في العالم

الرابطة
شهرية - علمية - ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي
السنة ٥٦ العدد ٦٤٥ شوال ١٤٤١هـ - يونيو ٢٠٢٠م

أصداء برنامج «بالتي هي أحسن»

كان الهدف من برنامج (بالتي هي أحسن) الذي قدمه يوميًا تلفزيون الشرق الأوسط (أم بي سي) خلال شهر رمضان، هو التطرق إلى القضايا المهمة في حياة الشعوب الإسلامية.

ولعل البرنامج جاء متسقًا مع أهداف رابطة العالم الإسلامي واهتمامها بأن يعيش المسلم حياة سعيدة بعيدة عن الصدام مع أبناء وطنه، وأن يشعر بأنه منسجم اجتماعيًا مع بيئته.

البرنامج الذي استضاف معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ورئيس الهيئة العالمية لعلماء المسلمين، جاء تمثيلاً للحضور الثقافي والفكري للرابطة وعلاقتها الموصولة مع الشعوب المسلمة. وتجلى ذلك في إبراز خريطة فكرية للرابطة وقيادتها، تجمع بين التجذر في الحضارة الإسلامية والانفتاح الإيجابي على العالم.

وتناول البرنامج أهم مشاغل المجتمع المسلم، مع تقديم المعالجات الفقهية والعلمية لها. ومثلما اعتنى البرنامج بالمشاغل الكبرى مثل قضايا الإسلاموفوبيا والتطرف ومشكلات الأقليات المسلمة والفتنة الدينية ونحوها، فإنه تناول أيضًا موضوعات اجتماعية عامة ذات صلة بالشباب والمرأة.

ومن الأمثلة على القضايا التي تطرق إليها البرنامج دعوته إلى الرشد في الإنفاق المالي وإلى التكافل المجتمعي بين الناس من خلال الاهتمام بالأوقاف الإسلامية وعدم التهرب من الزكاة، مبينًا القواعد والأسس لنجاح الأوقاف.

وأعطى البرنامج دليلاً لكيفية صناعة الحياة الطيبة بشكل عام؛ مثلاً: كيف نبني المجتمع المتراحم لأنه لا دين ولا حياة بدون التراحم، وكيف نصنع الفرح وندخل السرور في قلوب الآخرين، وكيف نحتفل بالعيد على الرغم من ظروف الإغلاق والحجر المنزلي والتباعد.

ولعل مما أعطى البرنامج صداه أنه نقل تجربة الرابطة الرائدة في العمل الخيري المستدام والعون الإنساني، والإعجاز العلمي، بالإضافة لعطائها ذي البعد الإنساني عبر المواقف العملية المختلفة.

وقد احتفت الأقلام ببرنامج «بالتي هي أحسن» وما أبرزه من خطاب ديني أصيل ومتجدد، وأشادت بـ«نموذج فريد في شرح مبادئ الإسلام بطريق سلسة دون أي تعقيدات لبلوغ الغاية السامية من هذا البرنامج».

ولا شك أن المحتوى العلمي للبرنامج، له أهمية عبر عنها كثير من المعلقين، ذلك أنه لم يكتف بالتحليل والتشخيص، بل بادر إلى تقديم رؤية شاملة باتجاه انتهاج طريق الاعتدال والوسطية الذي ينفي تحريف الغالين وانتحال المبطلين.

ونرجو أن يكون للبرنامج تأثير إيجابي في الجمهور، لأنه امتداد لتواصل مباشر عبر الحوارات والندوات والمحاضرات والمؤتمرات، والاحتكاك عن طريق الزيارات مع الكيانات الشعبية والأقليات المسلمة حيثما كانت.

إنه تفاعل يومي دؤوب مع الناس في دور العبادة ومعاهد العلم والمراكز الإسلامية، وحوار مستمر مع العلماء والمثقفين وطلبة العلم، مما يجعل لما يصدر من رسائل إعلامية قدرًا ملموسًا من الصدى والتجاوب.

وهكذا يكون للنشاط الإعلامي جدوى عندما يصل إلى الناس ويحصل منه التأثير المطلوب، وهذا هو ما يستفاد من قول الله تعالى: «ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون» (القصص، ٥١).

المحتويات

«بالتي هي أحسن» يتصدر لائحة البرامج الدينية الأكثر متابعة في رمضان
4

الرابطة تدشن برنامج توزيع السلال الغذائية في أفغانستان
11

القوة القاهرة التي غيرت وجه الحياة في العالم
13

بسم الله الرحمن الرحيم

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

الأمين العام
أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

المدير العام للاتصال والإعلام
أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري

رئيس التحرير
د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير
ياسر الغامدي

المراسلات:
مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة
هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٣٨٧
فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٤٨٩
المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير
البريد الإلكتروني:

rabitamag@gmail.com

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر
للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org

طبعت بمطابع تعليم الطباعة
رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردمد: ١٦٥٨-١٦٩٥

العدد: ٦٤٥
شوال ١٤٤١ هـ - يونيو ٢٠٢٠ م

غلاف العدد

الكورونا اللغوية في الوطن العربي

26

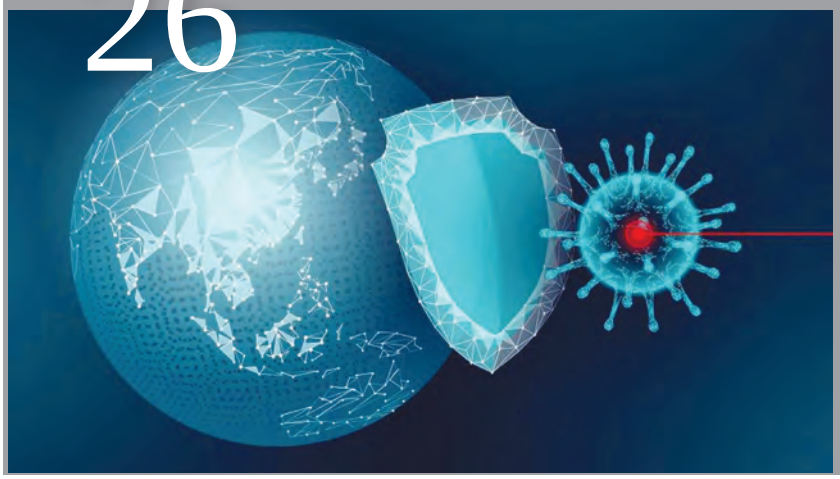

التعايش الحضاري في الإسلام وسبل ترسيخه

35

الرابطة تعلن مبادرة لإنتاج أعمال فنية هادفة

مكة المكرمة - الرابطة

أعلن الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشـــيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى عن إطلاق مبادرة شبابية جديدة لإنتاج أعمال فنيـــة هادفة تحت رعاية وإشراف الرابطة.

ودعا معـــالي الأمين العـــام للرابطة في برنامـــج «بالتـــي هي أحســـن» الذي استضافه طيلة شـــهر رمضان المبارك، الكفاءات الشـــابة المنتجة إلى تقديم أي أفكار أو مشاريع أعمال في هذا الشأن.

وأضـــاف أن الأمانة العامـــة للرابطة ستستقبل عروضاً أولية للأفكار والأعمال وسيتم منح مقابل مجزٍ للأعمال المقبولة.

وكان معاليـــه أكـــد في البرنامج أهمية الأعمال الفنيـــة في صناعة وتعزيز القيم الإيجابية.

«بالتي هي أحسن»

يتصدر لائحة البرامج الدينية الأكثر متابعة في رمضان

مكة المكرمة:

تصدّر برنامج «بالتي هي أحسن» الذي عُرض على شاشـــة «mbc»، لائحة البرامج الدينية الأكثر متابعةً على المحطـــات الفضائية في العالم العربي، إذ تميّز بطرح عميق ورصين متناولاً كافة قضاياه بوضوح وشـــفافية في قالب ومحتوى عصري بعيد عن الطرح التقليدي.

وأوضح مقدم البرنامج عبدالوهاب الشهري أن البرنامج استضاف في حلقاته طيلة شهر رمضان المبارك الماضي، معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، ويناقش الكثير من القضايا التي لا تُناقش عادةً في البرامج الدينية بلغةٍ صريحةٍ بعيداً عن المواربة والترميز.

وبيّن الشهري أن د. العيسى كان حريصاً على ذكر تجاربه الشخصية وسرد المواقف التي مر بها حول العالم، بهدف إشراك المجتمع المسلم في النقاش وخلق حوارٍ أكثر واقعية وقرباً من الحياة اليومية للمسلمين، حيث يسعى معاليه من خلال موضوعات الحلقات إلى إبراز الصورة الحقيقية للإسلام الوسطي المعتدل وكشف جماليات الحضارة الإسلامية، مضيفاً أن البرنامج يناقش القضايا الدينية والفكرية والاجتماعية بخطاب

❖ الشهري: البرنامج يناقش القضايا الدينية والفكرية والاجتماعية بخطاب جديد

عصري عميق ومنفتح.

وفتح البرنامج بكل شفافية عدداً من الملفات الجدلية في العالم الإسلامي، إضافة إلى تسليط الضوء على الظواهر والممارسات والأحداث الجارية في العالم من حولنا بشكل عام، وطرح فيها آراء ومعالجات خلّاقة.

ناقش البرنامج كل هذه القضايا من زوايا متعددة، متجنباً سلبيات الطرح التقليدي ومجازفات التعميم، وقد تحول البرنامج إلى فضاء مفتوح لعرض الرأي مع احترام حق المشاهد في الاختيار والاقتناع والبحث عن الحقيقة من دون

محاولة توجيهه تحت أي ذريعة.

كما يتبنى رؤية سباقة في عمقها العلمي والفكري مصحوبة بتجارب ومشاهدات ثرية في قالب موضوعي ومنفتح مستدعياً باهتمام وشرح ضاف ومقنع دور المشتركات الإنسانية في حفظ سلام ووئام عالم اليوم .

يسعى البرنامج في حلقاته إلى إحياء وإعلاء القيم الإسلامية التي تدعو إلى الاعتدال والرحمة بالآخرين، وحب الخير لهم، والإحسان بمفهومه الشامل، وتفهّم سنة الله تعالى في تنوع الكون واختلاف الخلق.

وكان من أبرز القضايا التي ناقشها البرنامج في الشأن الإسلامي قضية الصراع الشيعي السني، إذ فنّد ضيف البرنامج الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى حقيقة هذا الصراع، مؤكداً أنه «صراع بين متطرفين وطائفيين من الجانبين، وليس بين معتدلي السنة والشيعة الذين يمثلون الأغلبية».

وقد حظي هذا الخطاب الوسطي الوحدوي الساعي إلى تعرية التطرف والطائفية بالترحيب

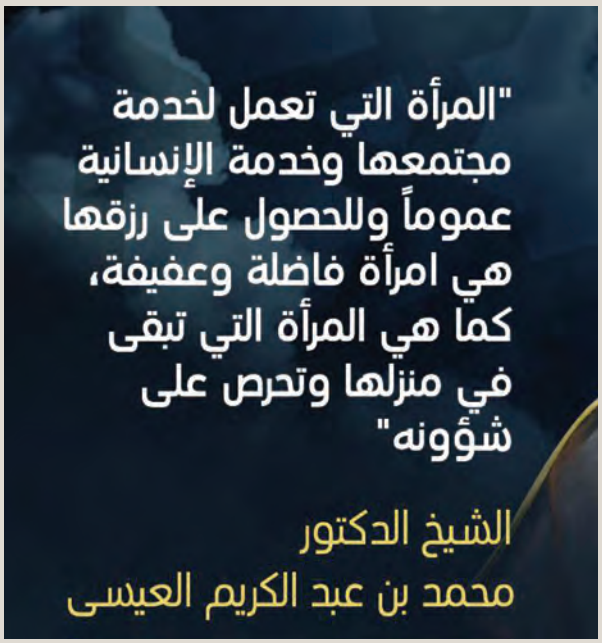

الواســـع من قيادات العالم الإسلامي من مختلف المذاهب والطوائف. وأشادت به على وجه الخصوص القيادات الشـــيعية، التي أكدت أن العالم الإسلامي بحاجة ماســـة إلى مثل هذه الأصوات المعتدلة التي تقاوم أصوات الصدام الشاذة.

كما خصص البرنامج أيضاً حلقة مهمة لكشف فساد ممارســـات الإسلام الســـياسي وأخلاقيات جماعاته وعلى رأســـها جماعة الإخوان المسلمين، مؤكداً أنها تتنازل عن الاهتمام بالعقيدة والسلوك الإسلامي، بل وحتى شـــعاراتها التي ترفعها عند اضطرارها، مـــن أجل تحقيـــق أغراضها. وقال الدكتور العيسى في وصف أعضـــاء هذه الجماعة إنهم لا يعترفون بأي ولاية إلا ولاية مرشدهم، وإن قاموسهم مليئ بأساليب الفجور في الخصومة فضلاً عن استخدام البراغماتية النفعية في أسوأ صورها.

كما ناقش البرنامج وللمرة الأولى قضية تحريم الاعتداء على دور العبادة، موضحاً أن الإسلام يؤكد وجوب احـــترام وجود دور العبـــادة الأخرى، بل ويفرض على المســـلمين حمايتها، ويجرّم الاعتداء

❖ يسعى لإعلاء القيم الإسلامية الداعية للاعتدال والرحمة بالجميع.. وتفهّم سنة التنوع والاختلاف

عليها مهما كان السبب.

كما طرح البرنامج قضية المرجعية الإســـلامية، مؤكداً باسم علماء ومفكري رابطة العالم الإسلامي وهيئاتها ومجامعها ومجالسها العالمية أن المملكة العربية السعودية هي المرجعية الروحية للمسلمين، من منطلق شرف خدمة الحرمين الشريفين وريادتها الإسلامية واضطلاعها بكامل مسؤولياتها الإسلامية على الصعد كافة في سياق تاريخي مشرّف.

وفي رؤية نادرة لقضايا المرأة المسلمة، خصص البرنامج حلقتين كاملتين لتصحيح المفاهيم الخاطئة في التعامل مع المرأة، والرد على الخطاب الذي يتهم التشريع الإسلامي بالإساءة إليها، حرص خلالهما

معالي الدكتور العيسى عـــلى تعزيز مفهوم تمكين المرأة في الشريعة الإسلامية، الذي يؤكد على إعطائها حقوقها كافة وإتاحة المجال لها لممارســـة دورها وتأثيرها الكبـــير كعالمة ومفكرة وخبيرة ومهنية في مختلف مهام المسؤولية والخدمة الوطنية.

برنامج «بالتي هي أحسن»
صورة مشرقة للفكر الإسلامي

السيد محمد علي الحسيني
أمين عام المجلس الإسلامي العربي في لبنان

مع حلول شـــهر رمضان المبارك، تبدأ المنافسة في البرامج، لكســـب أكبر عدد من المشاهدين، وصولاً إلى مغنطة العقول وتوجيهها نحو مناح محددة، قد تكون خطيرة عـــلى توجهاتهم وحياتهم، مســـتغلين الفراغ الموجود، والجهل المســـتشري، لذلك نجد أن التصدي لها يكون عبر صوت الحق المتنور بالعلم والعقل، ولغة المنطق والفكر الثاقب، وهي مهمة يتصدى لها العلماء الربانيون، أهل العلم والبصيرة الذين سخروا حياتهم خدمـــة لدينهم ومجتمعاتهم من خـــلال طرح برامج توجيهية وإرشادية لتنوير عقول الناس، وتجديد الفكر بما يعكس حقيقة ونظرة الإسلام الحقيقي.

برنامج «بالتي هي أحسن» رؤية جديدة..والشيخ العيسى يقدم خطاباً دينياً أصيلاً ومتجدداً

في مرحلة تعد من أخطر المراحل وأدقها، يطل علينا معالي الأمين العام لرابطة العالم الإســـلامي الدكتور الشيخ محمد بن عبدالكريم العيسى في برنامج «بالتي هي أحســـن» مقدماً لنا نموذجاً فريداً في شرح مبادئ

الإسلام الأساســـية المبنية على قيم العدالة والتسامح، قيم طُمســـت معالمها لســـنوات من قبل الظلاميين، ليأتي الشـــيخ العيسى ويطرح بأداء مميز، وأســـلوب علمي متجدد، رؤية فكرية متنورة وســـطية ومعتدلة، يحاوره الإعلامي المميز عبدالوهاب الشـــهري بمهنية عالية وأســـلوب إعلامي راق، مع حسن اختيار الأسئلة وطرحها بطريقة سلسة دون أي تعقيدات لبلوغ الغاية السامية من هذا البرنامج القيم والاستفادة.

«بالتي هي أحسن»..حاجة وضرورة

لا شـــك أن عنوان البرنامج «بالتي هي أحسن» هو الاختيار الأمثل تم اســـتقاؤه من قوله تعالى: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» وهي آية تعكس النهج الوسطي الذي يقوم عليه الإسلام.

إن قضايا أمتنا المليئة بالتصادمات والانقســـامات والاختلافات على مختلف الأصعدة، بحاجة ماسة لحوار إيجابي، ديني وفكري وحياتي قائم على مضامين هذه الآية الكريمة، التي يستخلص كنوزها علماء متنورون ضالعون لهم كفاءة دينية وعلمية عالية، ولا شـــك أن أهمية البرنامج الذي تعرضه قناة الـ mbc في شـــهر رمضان المبارك تكمن في توقيته المهم والحاجة إلى الحوار البناء مع مختلف شرائح المجتمع، فهو الســـبيل الأمثل لمعالجة الكثير من المشاكل والأزمات وسد الثغرات التي تتسرب منها الأفكار الضالة المضلة التي سعت في عقول الناس تخريباً، وشـــوهت المفاهيم الإسلامية الناصعة القائمة على التســـامح والمحبة والرفق، والكلمة الطيبة التي رسخها الإسلام «ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشـــجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين».

الشيخ العيسى رمز وشخصية قيادية استثنائية

إن المرحلة الضبابية التي تشـــهدها أمتنا بحاجة إلى مصابيح لكشـــف الدجى عنها، ولا نبالغ بل نؤكد أن معالي الدكتور الشيخ محمد العيسى هو الشخصية القيادية المهمة والملهمة، التي أبلت بلاءً حسناً وقدمت وتقدم مجهودات كبيرة خدمة للإسلام والوطن.

ويتصدى فضيلته لكل هـــذه التحديات بما له من خبرة كبيرة، التمســـناها من خلال زياراته ونشاطاته المســـتمرة التي رافقناه فيها لمعظم بلدان العالم، وما تزال مستمرة رغم الحجر الصحي العالمي الذي لم يثنه عن مواصلة مسيرته المشرقة، ليعرف بحقيقة الإسلام ومنهجه الوسطي، ودور المملكة العربية السعودية في دعم القضايا الإنسانية المختلفة.

إن معالي الشيخ محمد العيسى يعد من أبرز القيادات الدينية على مستوى العالم، وبرنامج«بالتي هي أحسن» فرصة ذهبية لتسليط الضوء على علمه وحكمه وتجاربه التي أسهمت بشكل كبير في مد جسور اللقاء والتقارب بين مختلف شرائح المجتمع، من خلال رفض التصنيف الســـلبي والإقصاء وتبيين مخاطر الفرقة والانقسام والدعوة إلى ضرورة الحوار مع أتباع الأديان والتعايش ورفض العنف بسبب انتمائهم الديني.

إن دور الشـــيخ العيسى ليـــس دوراً مؤقتاً بل هي مهمة لغاية خالدة، لأن جوهرها مبادئ وقيم الإســـلام التي لا تتلون ولا تتغير باختلاف الزمان والمكان، لذلك نجده حريصاً على توجيه المسلمين المقيمين والمواطنين في الغرب على الالتـــزام بقوانين الدول والاندماج فيها، كما يبذل جهوداً ومســـاعي ملفتة في رعاية المؤتمرات الإيجابية (إعـــلان وثيقة مكة المكرمـــة التاريخية)، خاصة الداعية إلى الوحدة الإســـلامية وتعزيز استقرار الدول وتمكين المرأة والتنبيه لمخاطر حركات الإســـلام السياسي، وهذا سيشـــكل مناعة قوية للمرحلة المقبلة وتجنيب أمتنا الكثير من المآسي بســـبب مخاطر الفكر الضال الذي شكل ويشـــكل تهديداً كبيراً في استقرار الأمم ووجودها.

الرابطة تدشن برنامج توزيع السلال الغذائية في أفغانستان

كابل ـ الرابطة:

دشـــنت رابطة العالم الإسلامي برنامج توزيع السلال الغذائية في جمهورية أفغانستان الإسلامية.

وجرى التدشـــين بمقر وزارة المهاجريـــن والنازحين في العاصمـــة الأفغانية كابل بحضـــور معالي وزير أمور المهاجرين والنازحين ســـيد حســـبن عالمي بلخي ومعالي المستشـــار الخاص لرئيس الجمهورية لشؤون المهاجرين والنازحـــين مفتاح الدين بابكر خيل والمستشـــار الخاص لوزارة المهاجرين والنازحين للشؤون الإجتماعية حيات الله سباوون.

وأوضح المدير الإقليمي لرابطة العالم الإســـلامي في باكستان وأفغانستان في تصريح بهذه المناسبة أن هذا البرنامج في مرحلته الأولى يتمثل في عدد (٤٠٠٠) ســـلة غذائية ســـيتم توزيعها على المحتاجين في أنحاء مختلفة من هذا البلد الشـــقيق، ويأتي ذلـــك بتوجيه ومتابعة مباشرة من الرابطة.

وأضاف أن هذا البرنامج يعتبر أحد المشـــاريع العديدة التي تنفذها رابطة العالم الإسلامي في جمهورية أفغانستان الإسلامية.

من جانبه قدم معـــالي وزير المهاجريـــن والنازحين الأفغاني شـــكره لرابطة العالم الإسلامي على هذه المبادرة الطيبة بتقديم المساعدات الإنسانية للشعب الأفغاني خاصة في هذا الوقت الذي يعاني فيه الشـــعب الأفغاني من تفشي فيروس كورونا.

كما أعرب عن شكره وتقديره للمملكة العربية السعودية على وقوفها الدائم مع الشعب الأفغاني في شتي المجالات.

جدير بالذكر أن الرابطة في كافة خدماتها الإنســـانية حول العالم تتعامل مباشرة مـــع حكومات الدول؛ توخياً لانسجام جهودها مع الحاجة الحقيقية لكل دولة، وسعياً لتوافق أعمالها مع قوانينها.

الرابطة تدعم كشمير لمواجهة «كورونا»

إسلام آباد

سلمت رابطة العالم الإسلامي حزمة من المستلزمات والمواد الطبية الخاصة بمكافحة انتشار فيروس كورونا لإقليم كشمير، وذلك في المكتب الإقليمي لرابطة العالم الإسلامي في العاصمة الباكستانية إسلام آباد بحضور معالي رئيس وزراء حكومة إقليم كشمير السيد راجه فاروق حيدر خان، وسفير خادم الحرمين الشريفين لدى باكستان نواف بن سعيد المالكي.

وأوضح المدير الإقليمي لرابطة العالم الإسلامي في باكستان سعد بن مسعود الحارثي أن المشروع يأتي ضمن خطة استجابة عاجلة بادرت بها رابطة العالم الإسلامي للتخفيف من آثار جائحة كورونا.

وشملت تقديم حزمة من المستلزمات الطبية للمشاركة في مكافحة فيروس كورونا في كشمير، وتشمل الحزمة أجهزة كشف وأقنعة وكمامات واقية ومعقمات وأطقم اختبار ونظارات واقية وبدلات عزل.

وأضاف أن هذا المشروع جاء بتوجيه حثيث من الرابطة، وهو جزء من العديد من البرامج والمشاريع التي تنفذها الرابطة لخدمة عدد من الدول الإسلامية وغيرها في مختلف المجالات الإغاثية والصحية والتعليمية والرعوية والتنموية.

من جانبه أشاد معالي رئيس وزراء حكومة إقليم كشمير راجه فاروق بجهود رابطة العالم الإسلامي، موضحاً أنها تعتبر من أفضل المنظمات الإغاثية العاملة في باكستان، ومعروفة بتفانيها وعملها الاحترافي.

جدير بالذكر أن الرابطة في كافة خدماتها الإنسانية حول العالم تتعامل مباشرة مع حكومات الدول؛ توخياً لانسجام جهودها مع الحاجة الحقيقية لكل دولة، وتوافق أعمالها مع قوانينها.

القوة القاهرة التي غيرت

وجه الحياة في العالم

استطلاع: د. عثمان أبوزيد - قيس باجعيفر

تغير هائل أصاب حياة الناس بسبب القوة القاهرة لجائحة الفيروس التاجي. في كل أنحاء العالم لزم ملايين الناس بيوتهم، لتتغير عاداتهم اليومية، وتتوقف مواعيدهم، حتى الصلوات والتجمعات الدينية في المساجد والمعابد توقفت.

لا نعرف الكثير عن هـــذه الجائحة... فهل تكون كورونا اســـتراحة من وتيرة الحياة التي ألفها الناس، وهل تكون وقفة يعيدون فيها تفكيرهم في أمور كثيرة تتعلق بأوضاعهم الخاصة، بما في ذلك الأسرة والحياة والموت والصحة والنظافة والجيران والأصدقاء وأفراد المجتمع.

أمر مؤكد أن الوباء كما أوقـــف الروتين اليومي لملايين الناس حول العالم، فإنه ربما يحدث تغييرًا في الحياة ورؤية الناس لهذا التغيير.

أجرت مجلة الرابطة استقصاءً عبر الإنترنت يغطي شخصيات مختلفة من مختلف أنحاء العالم للتعرف على كيفية تأثير الجائحة على حياتهم اليومية، وكيف واجهوا هذه التجربة، وجاءت حصيلة الاستقصاء على النحو التالي:

عرفنا قيمة الحرية والصحة

الشيخ يوشار شريف، مدينة قوموتيني، محافظة رودوبي شـــمال اليونان، يعمل أستاذًا بقسم العلوم الإسلامية بجامعة أرسطو بمدينة سالونيك.

يقول الشيخ يوشـــار: عرفنا قيمة الحرية وقيمة الصحة، وزاد اعتبار الناس بقدرة الله تعالى الذي إذا أراد شيئًا يقول له كن فيكون، ولا نعرف هل يستمر اعتبار الناس إلى ما بعد انتهاء الوباء، ومدى التزامهم بأوامر ربهم واجتناب ما نهاهم الله عنه.

وعن الخطـــوات التي اتخـــذت لمواجهة الجائحة وموقف المســـلمين منها يقول الشـــيخ يوشار: نحن كنا ولا نزال نؤيد ما تتخـــذه حكومة خادم الحرمين الشريفين تجاه هذا المرض؛ لثقتنا بأن المملكة لا تتخذ قرارًا إلا بعد التأكد من جدواه وبعد التشاور مع أهل التخصص وذوي الخبرة والتجربة، ولله الحمد.

لقد حصل الحظر عندنا اعتبارًا من ٢٣ مارس بعد أن تأكد انتقال العدوى بسبب عودة مواطنين يحملون المرض من دول أوروبية أخـــرى. وقد أوقفنا الصلاة في المســـاجد، ولكن أبقينا على الأذان، وكانت استجابة المسلمين تامة بتوجيهات السلطات الصحية.

الشعائر الدينية عبر منصات التواصل الاجتماعي

وقالت الســـيدة باربارا إنســـولين من الكنيســـة الكاثوليكية في مدينة كروغرســـدروب، جوهانسبرغ، جنوب إفريقيا، إن التجمعات الدينية حظرت تمامًا في بلدتها، واســـتعاض الناس في أداء شعائرهم الكنسية بمنصات التواصل الاجتماعي.

وقالت إن المدينة أغلقت بالكامل، وغالبًا اتبع الناس التوجيهات الصحية الحكوميـــة، ولكن كانت هناك انتهاكات لحظر التجول من الفقراء الذين خرجوا إلى الشوارع احتجاجًا على نقص الإمدادات الغذائية، وقرر بعضهم أن يأخذوا الأمور بأيديهـــم ونهبوا المحلات التجارية.

أما حســـن حبيب الله، وهو متطوع يوزع الأقنعة في المدينة التي يعيش فيها، فقد أبدى حزنه وتعاطفه مع جماعات من ذوي الدخل المحدود الذين لم يجدوا ما يأكلونه فاضطروا إلى النهب من الأســـواق. ويقول حســـن: لقد رأيت الفقراء ينتهكـــون حظر التجول ويقتحمون محلات (الســـوبر ماركـــت)، ويسرقون الطعام لأنهم لا يملكون المال، فالكثير منهم توقفوا عن العمل والكثير لم يتلقوا رواتبهم.

وعن الإجراءات الوقائية التي اتخذتها السلطات في جنوب إفريقيا يقول حبيب الله: إن ســـلطات جنوب إفريقيا اتخـــذت إجراءات وقائية للحد من انتشـــار الفيروس، فمثلاً أوقفت الصلاة في المساجد والكنائس والمعابد، وحددت الحكومة ساعات معينة للقيام بشراء الاحتياجات من الغذاء والدواء.

انتهاكات بسبب الجوع

وقال الدكتور توني لاك، زعيم الجالية اليهودية في جوهانســـبرغ بجنوب إفريقيا، إن المعابد أغلقت بأمر مـــن الحكومة كإجراء وقائي، والتـــزم أفراد الجالية اليهودية بأداء الصلوات في منازلهم.

وفي رأيه أن ما وقع مـــن انتهاكات لحظر التجول كان بسبب الجوع، مما دفع الناس إلى مهاجمة محلات السوبر ماركت ومحلات البقالة وسرقة الطعام.

وفي دولـــة ملاوي المجاورة لجنـــوب إفريقيا، بدا الظرف الاقتصادي أســـوأ بكثير، وخاصة في المناطق الريفية. يصف الشيخ عبد الحكيم عيسى الذي يعيش في بلدة صغيرة ســـوء الظروف المعيشية للعديد من الناس، بمن فيهم المسلمون. فالأوضاع قاسية بسبب النقص الحـــاد في الاحتياجات الأساســـية، وزادت الجائحة الأوضاع ســـوءًا على ســـوء، وتزداد تعقيدًا لتدهور المنشـــآت الصحية وقلتها، مع نقص المعدات واللوازم الطبية.

لقد أغلقت جميع دور العبادة ولا يُســـمح بصلاة الجماعة للمسلمين، وتأمر السلطات بأن يعزل الناس أنفسهم في المنازل، لكن «لســـوء الحظ، يجد العديد

من السكان صعوبة في الالتزام بالتوجيهات الصحية بسبب نقص الغذاء والضروريات اليومية. الناس جوعى. لقد كسر بعضهم حظر التجول وخرجوا إلى الشوارع احتجاجاً».

ولا يخلو الوباء من جانب مشرق

وينظر الدكتور يوسف نوري مدير مركز توفيق الإسلامي، بمنطقة كوفنتري بالمملكة المتحدة، إلى ما يسميه الوجه المشرق للوباء، فعلى الرغم من أنه عطل الحياة والاقتصاد والخدمات الصحية وأثر على جميع شرائح المجتمعات حول العالم، فإنه لا يخلو من جانب مشرق. الوباء جعل الناس يبقون في المنزل وجعل العائلة تجتمع، وهذا شيء نادر الحدوث، لقد حدث تطور إيجابي باجتماع شمل الأسرة ووجود حوار بين أفرادها، والتعرف على المشكلات، خاصة الشباب.

يقول الدكتور نوري: «في الوقت الحاضر، معظم المسلمين يعقدون جلسات قرآنية داخل بيوتهم، وبعض العائلات تعقد مناقشات منتظمة ترفع من حصيلة أفراد الأسرة الدينية والثقافية. شيء إيجابي أن الأزمة زادت من التضامن الأسري، إذ تؤدي العائلات المسلمة صلاة الجماعة في المنزل وتشاهد البرامج الدينية.

أما عن التزام الجمهور بتعليمات الدولة، فالشعب البريطاني معروف باتباعه القانون».

توقفت الحياة تمامًا

وقال بيلاه جيلان، الكاتب البارز في مجلة أديس ستاندرد ومقرها إثيوبيا: إن الحكومة اتخذت إجراءات احترازية للحد من انتشار الوباء في جميع أنحاء البلاد. لقد شعرنا بأن الحياة توقفت تمامًا. أغلقت المؤسسات التعليمية وتوقفت الصلوات في المساجد والكنائس. اهتمت الدولة بالتوعية الصحية على نطاق واسع، مع توفير الغذاء والأدوية للأسر المحتاجة بمساعدة من القطاعين العام والخاص.

ويبقى الخوف في الدول الإفريقية من عجز القطاع الطبي والصحي من مجابهة الموقف، ولا سيما أن المؤسسات الطبية تعاني النقص في الأحوال العادية.

وفي روسيا الاتحادية قالت كريستينا ك إن بعض الكنائس المحلية لا تزال تعمل، ومع ذلك فإن معظم الناس يبذلون قصارى جهدهم للبقاء في المنزل. وتلاحظ كريستينا نقص الوعي لدى الجمهور العام بخطورة المرض، وهذا ما يجعل البعض ينتهك الحظر. في رأيها، أن مسؤولية إيقاف الوباء مسؤولية فردية، فكل شخص عليه الالتزام الصارم بالتوجيهات، إذ لا يمكن إيقاف الجائحة إلا إذا توحد الجميع وساعد بعضهم بعضًا. وتطالب كريستينا بأن يرتفع الناس بالتزامهم الأخلاقي، وترقية التعامل الإنساني بين الجميع.

صلوات عبر تطبيق زوم

ويقول آدم ج. نيومان، من ولاية كولورادو بالولايات المتحدة الأمريكية، إن المؤسسات الدينية في منطقته لم توقف الصلوات، بل نظمت المصلين والتجمعات الدينية وفق قواعد الإبعاد الجسدي. وولاية كولورادو لم تتبع الحجر المنزلي، لكنها ألزمت المواطنين بالاتباع الصارم للإرشادات الصحية. وفرضت قيودًا على حجم التجمعات واتباع القواعد الصحية عند اللقاءات، وتجنب اللقاءات إلا في حال الضرورة. ويرى أن أضرار الجائحة كانت أقل بسبب هذه الطريقة، ويقول: بعض أصدقائي مصابون بالمرض لكنهم تعافوا أو يتعافون.

وقال ديل ب. من مدينة مونتيري بولاية كاليفورنيا، إن الصلاة في الكنائس توقفت، غير أن أتباع كنيسته يجتمعون عبر تطبيق Zoom في شكل مجموعات عائلية للصلاة.

ويضيف السيد ديل: إن رسالة يوم الأحد في الكنيسة تبث عبر الإنترنت، وهناك الكثير من تطبيقات الوسائط الاجتماعية المستخدمة للتواصل، حيث إن الكثير من

القساوسة الشباب متمرسون في التكنولوجيا.

لقد طبق العزل المنزلي في ولاية كاليفورنيا بشكل صارم، ومع ذلك قد ترى البعض يمارس الرياضة الفردية مثل ركوب الدراجة أو المشي والركض.

وعن الحالة الصحية على وجه العموم يقول: كنت أنا وزوجتي محظوظين لأننا لم نخالط أحدًا مصابًا بالعدوى، لكننا نتألم لأخبار المتوفين أو الذين نقلوا إلى وحدات العناية المكثفة.

ويرى ديل أن أخطر النتائج لم تحصل بعد، فالحكومة تقول إنها لا تعرف متى تسمح للناس بالعودة إلى العمل. وكل يوم يمضي دون العمل أو ممارسة النشاط الاقتصادي يزيد من معاناة الناس، ويؤدي ذلك إلى فقدان الوظائف.

مدينة أشباح

يشعر السيد جون د. من مدينة شيكاغو بأن مدينته تحولت إلى مدينة أشباح لأن وسط المدينة وطرق المرور فارغة طوال الوقت تقريبًا.

لقد التزم الناس بالحجر المنزلي وبالتباعد الجسدي في حال التجمعات الضرورية. في معظم الأماكن يتم تغريم الناس الذين ينتهكون الحجر المنزلي، أو توجه لهم تحذيرات في حال التجمع مع أكثر من تسعة آخرين بما في ذلك التجمعات الدينية. بشكل عام، طلبت الشركة التي يعمل فيها جون من جميع الموظفين العمل من المنزل حتى إشعار آخر.

أصعب شيء الإبقاء على الأطفال داخل المنازل

وقالت فينود ب. من ولاية تاميل نادو بالهند، إن جميع التجمعات الدينية محظورة ولا يُسمح لأحد بالذهاب إلى المعابد. وتعبر عن سعادتها أن معظم

الناس يلتزمون بالتعليمات الصحية في مدينتها، وتصف المخالفين بأنهم أشخاص غير مسؤولين. وقالت إنه لا حاجة للخروج وإخضاع نفسك وأفراد عائلتك لمخاطر لا داعي لها. ويمكن للمرء استخدام تطبيقات الإنترنت المتاحة لطلب الطعام وأي شيء يريده.

وقال الخميري، وهو مهاجر مسلم يعيش في كيبيك بكندا، إن جميع أماكن العبادة مغلقة بما في ذلك الكنائس والمعابد، وللناس أن يخرجوا فقط لأخذ متطلباتهم المعيشية والبقاء داخل المنازل. لقد تعطلت الحياة الاجتماعية، وترى الشوارع فارغة إلا من سيارات قليلة وأفراد من الذين يؤدون الرياضة أو يتنزهون على الأقدام.

وقالت أمل ب. من باريس، إنها لم تعد قادرة على الذهاب إلى المسجد في منطقتها المحلية لأن السلطات أمرت بإغلاق جميع أماكن العبادة. ولا يخرج الناس في منطقتها ما لم يكن هناك شيء عاجل أو طارئ. ومع ذلك، في بعض الأحيان لا يستطيعون مقاومة رغبتهم في الخروج إلى النزهة، ولا سيما أن فصل الصيف أتى بطقسه اللطيف الذي يغري بالخروج. وتقول إن أصعب شيء هو إقناع الأطفال بالبقاء في المنزل، حيث يستدعي ذلك إيجاد وسائل لملء فراغهم وإبقائهم مشغولين.

التعامل الأمثل مع الجوائح..

من الوصايا النبوية والحضارة الإسلامية

حملة تثقيفية نشرتها الرابطة عبر منصاتها الإعلامية

أبرز طرق الوقاية من الأوبئة في التاريخ الإسلامي

- تجنب أماكن المياه والمستنقعات
- التفرق وعدم التجمع والاكتظاظ
- ترك المدن والسكن في البرية إلى أن ينجلي الوباء منها
- بناء المستشفيات لمداواة الناس ورعاية المصابين بالوباء
- بناء أماكن خاصة بالحجر الصحي، استعداداً وتفادياً للأوبئة المنتشرة
- تعليق التبادل التجاري مع الدول المتفشي فيها الوباء ومنع أي نوع من أنواع التواصل معها
- حجز السفن القادمة من المناطق الموبوءة لمدة 40 يوماً قبل السماح لها بالرسو في الموانئ وإفراغ حمولاتها

طاعون عمواس

أول وباء في تاريخ المسلمين

18هـ - 639م

وقع في زمن الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه

- بدأ من قرية عمواس بفلسطين وانتشر بسائر الشام
- تُوفي بسببه قرابة **25 ألفاً** منهم عدد من الصحابة رضوان الله عليهم

وقد رفع البلاء بعد إرادة الله بتوجيه **عمرو بن العاص** رضي الله عنه حين خطب في الناس فقال: **"أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار، فتحصنوا منه في الجبال"**

كيف تصرف الناس حينها؟

تجنب أماكن المياه والمستنقعات

التفرق وعدم التجمع والاكتظاظ

طاعون الكوفة

50-49 هـ - 669-670م

وقع في زمن **الخلافة الأموية**

توفي به والي الكوفة الصحابي **المغيرة بن شعبة** رضي الله عنه

قدرت الوفيات ما بين **80** و **170 ألفاً**

كيف تصرف الناس حينها؟

- أمر والي الكوفة سكانها بالجلاء عنها عندما تفشى الوباء
- تصرف والي الكوفة وسرعة بديهته مع سكان الكوفة حصرا المرض بها ومنعا تفشيه في العراق

الطاعون العام

69-64 هـ - 684-689م

- وقع في زمن الخلافة الأموية
- بدأ في البصرة وانتشر في العراق وأصاب بلاد الشام ومصر
- توفي به مئات الآلاف من البشر
- توفي به حفيد أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد وابن ربيب رسول الله
- دفع المسلمون الجزية بسبب الوباء وأعداد الوفيات لحماية حدود البلاد
- اشتد الموت في عهد مصعب بن الزبير الذي تولى البصرة عام 69هـ
- مات في عام 69هـ خلق كثير وقيل إن العدد كان 70 ألفاً يومياً ولمدة ثلاثة أيام وبدأ بعدها بالانحسار
- مات للصحابي المبشر بالجنة عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أربعون ولداً

كيف تصرف الناس حينها؟

تفرقوا في قرى بعيدة عن مركز الوباء

عندما وصل مصر خرج الحاكم بالناس والجيش وابتعدوا إلى حلوان ومحيطها

طاعون الفتيات

شوال سنة 87هـ - 706م

- بدأ بعد وفاة الخليفة عبدالملك بن مروان
- سمي بطاعون الفتيات لأنه بدأ بالعذارى بالبصرة وواسط والشام والكوفة
- تحدث الإمام البخاري في التاريخ الأوسط عن فناء أهل الشام بسببه

كيف تصرف الناس حينها؟

لم يخرجوا من قراهم ومدنهم حيث فاجأهم بسرعة انتشاره

لم يخرج المرض من الشام لحرص الناس على عدم الخروج لكي لا يصيب الناس في بلاد أخرى

طاعون غراب

127هـ - 745م

- انتشر الوباء في بلاد الشام ومصر وإفريقيا
- سمي بذلك نسبةً لأول شخص أصيب به، وهو غراب الربابي
- تُوفي بسببه كثيرون من المسلمين

كيف تصرف الناس حينها؟

الانعزال: كان الناس يتركون المدن ويذهبون للبرية ويسكنونها إلى أن ينجلي الوباء

الطاعون الأسود

748هـ - 1347م

- وقع في العصر المملوكي
- سمي بهذا الاسم لسرعة انتشاره وشدة فتكه بالناس
- عم أقاليم الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وأصاب جميع أجناس بني آدم، وذكروا أنه بدأ في الصين ووصل حتى الأندلس
- قدرت الوفيات في أوروبا بثلث السكان، وذكر المقديسي في تحقيق الظنون أنه قضى على نصف سكان العالم الإسلامي
- قال المؤرخ المقريزي: "وتعطل الأذان من عدة مواضع وبقي في الموضع المشهور بأذان واحد... وغلقت أكثر المساجد"

كيف تصرف الناس حينها؟

الحجر والعلاج: اعتمد الأمراء في ذلك الحين ببلاد الشام ومصر وغيرها بناء المستشفيات لمداواة الناس ورعاية المصابين بالوباء

سنة السخونة (الإنفلونزا الإسبانية)

1337هـ - 1919م

حلت بالجزيرة العربية خصوصاً منطقة نجد جائحة عرفت بسنة السخونة وسميت أيضاً **(سنة الرحمة)** لكثرة ترحم الناس على الموتى، وأبادت مدناً وقرى لم ينجُ من أهلها إلا ما ندر حتى فاق الموتى عدة آلاف

هجرت مساجد قائمة وخلت بيوت عامرة بأهلها وهلكت المواشي في البراري لا تجد لها راعياً أو ساقياً، وأكثر من مات من هذا المرض الأطفال والنساء

كان للملك عبدالعزيز رحمه الله دور بارز رغم انشغاله في تلك الفترة بمعارك توحيد مملكته في مكافحة هذا الوباء عند ما قام باستدعاء الأطباء لمعالجة المصابين

كورونا : الوجه الآخر

د. حذيفة أحمد الخراط

فوجئ العالم بجائحة (كورونا) الجديدة التي غزته خلال الأسابيع الماضية، منتشرة في دوله انتشار النار في الهشيم، حتى غدت واحدة من أبرز الكوارث الصحية التي مرت على البشرية في تاريخها الحديث.

وليس منّا من ينكر مخلَّفات هذه الجائحة وأبعادها السلبية التي كان من نتاجها - حتى اللحظة - إصابة الملايين حول العالم بهذا الداء، ووفاة مئات الألوف منهم، عوضاً عن حَجْر الناس في مساكنهم، وخسارة الوظائف ومصادر رزق الكثيرين، وتدهور الاقتصاد العالمي، وإلغاء المناسبات والاحتفالات والأحداث، وشلل معظم أشكال الحياة اليومية والنشاط البشري، وهو ما سيسطّر في سجلات تاريخ الإنسانية أحداثاً عظاماً ذات معنى عميق وبالغ الأثر.

ومع كل تلكم الخسائر التي تَبِعَتْ هذا الوباء، إلا أن ثمة فيضاً من العوائد الإيجابية والآثار النافعة يُظهرها الوجه الآخر لجائحة (كورونا) الذي لا يراه الكثيرون منا. وإنّ حدثاً ضخماً مثل هذا لا شك أنه يحمل في طياته الكثير من الدروس النافعة والعِبَر التي سوف نتعلمها في زمن الأزمة، وسوف تَعْلق في ذاكرتنا وقتاً طويلاً بعد زوال البلاء.

ينشأ داء (كوفيد - ١٩) عن تكاثر فيروسات (كورونا) في أجسام المصابين. وفي هذا الداء يظهر جلياً وواضحاً أمام الأشهاد عجز الإنسان وقلة حيلته وهو أنه أمام كائن متناه في الصغر، لا تراه عينه المجردة، فوقفت البشرية -حتى الآن- عاجزة عن إيجاد حلّ ناجع لما نزل بساحتها من كرب، الأمر الذي أرغم أنوف الكثيرين ممن ظنوا أنّ حضارة المدنية الحديثة قد وصلت إلى قمة هرم العلم، وأنها كسرت الحدود، ولم يعد يقف أمامها حائل أو مانع، فجاء الداء ليعرّف الإنسان المغرور حجمه الحقيقي، وليوقفه عند حده،

وليذكره - شاء أو أبى - أنّ فوق كلّ ذي علم عليماً.

إذن فقد نجح وباء (كورونا) في بثّ رسالة مفتوحة لكل البشر في مشارق الأرض ومغاربها مفادها أن الله سبحانه وتعالى قادر على تجنيد أصغر خلقه، لتذكيرهم بعظمتـــه وجبروته، وأنّ حاجة النـــاس إليه لا تنقطع برهة في أزمان الشدة والرخاء على حد سواء.

ومن مظاهر الوجه الآخـــر لداء (كورونا) أنه أذاب الفروقات بين الناس، وغدا الكل أمامه في بوتقة واحدة، وفي خندق واحد، في صراع ضد عدو خفي لا يفرّق بين غني وفقير، وبين ذكر وأنثى، وبين قوي وضعيف، وبين رئيس ومرؤوس، فالعدو واحد، والخصم مشترك، وهو ما يتطلب من الجميع التعاون فيما بينهم للقضاء عليه.

ومن الفوائد التي جناها الكثيرون: إدراك قيمة النعم التي كنّا فيها وألفناها حيناً من الدهر، ثم فقدنا شيئاً منها بســـبب ظروف الجائحة التي أجبرتنا على البقاء في منازلنا بعيداً عن قضاء حوائجنا اليومية ووســـائل ترفيهنا خارج حدود منازلنا. فلسوف تتغير نظرتنا إلى الحياة بعد أن تُرفـــع عنا هذه الغمّة، ونتحرر من أسر (كورونا) ولســـوف نسعد - بإذن الله - بعودة الحياة إلى ســـابق عهدها، ونُسَرّ بأشياء لم نكن نلقي لها بالاً من قبل، ليس أقلها حرية التنقل والتجوال خارج حدود منازلنا.

ومن الـــدروس المســـتفادة من حـــدوث جائحة (كورونا): وجوب استشـــعار الإنسان بأنّ دوام الحال من المحال، وأنّ الإنسان قد خُلِق في كبد، وأنّ هذه الدنيا لا تصفو لأحد، فالعاقل من لا يركن إليها، والحكيم من لا يأمن جانبها، فالغدر شيمتها، والمفاجآت غير السارة طبعها.

وكانت جائحة (كورونا) فرصة سنحت للمسلمين للتعمق في فهم أحاديث الســـنّة التي تناولت المباحث التـــي تمسّ هذه الأزمة الصحيـــة، وكان نتاج ذلك أن أدرك المسلم عظمة تعاليم دينه حين حثت -على سبيل المثال- على تعهد نظافة الجسد، وحين أولت المضمضة والاستنشاق وغيرها من أفعال الوضوء اهتماماً خاصاً أقرت الأبحاث العلمية بأثرها الفاعل في وقاية الجســـم من غزو الفيروســـات. كما أدرك المســـلم من ناحية أخرى أن تعاليم دينه حين نادت بالابتعاد عن مصادر العدوى، وعدم دخول المناطق الموبـــوءة، أو الخروج منها، قد حازت قصب الســـبق في وضع قواعد الحجر الصحي الذي أقره العالم بعدها بقرون عديدة.

وبســـبب ظروف الحجر المنزلي، ولبقائنا في منازلنا ساعات أطول، فقد جعلتنا أزمة (كورونا) نتوقف أمام أسلوب حياتنا، فنعيد النظر في أفعالنا وأقوالنا، لتقويم ما يمكن تقويمـــه، وترتيب أولوياتنا. وعلمتنا أيضاً أن نتقن فنّ الجلوس مع النفـــس، والخلوة بها، وإعادة صياغتها بما فيه صالحها.

وأكســـبتنا الأزمة الصحية ثقافـــة وقائية صحية غابت طويلاً عن أذهـــان الكثيرين منا، فأصبحنا نولي غسل اليدين -على سبيل المثال- عناية خاصة، وأصبح اســـتخدام المعقمات جزءاً من حياتنا اليومية، وأصبح وضع الكمامة ثقافة مألوفة، وغير ذلك من المظاهر التي اعتدناها حديثاً في ظل هذه الظروف.

ونتيجة لما فرضته ظـــروف جائحة (كورونا) على غالب دول العالم، وإجبارها كثيراً من الشـــعوب على البقاء في منازلهم، فقد تنفست الطبيعة أخيراً الصعداء، وها هي البيئة من حولنا تأخذ قســـطاً من الراحة بعد عناء طويل، وها هي جودة الهواء والماء والتربة تتحسن، وها هـــو نظام الحياة يبدأ في التعافي بعد أن هدّه طول العهد بالتلوث، وهو ما دفع العلماء إلى الجزم بأن تكون سنة ٢٠٢٠ م السنة الأنقى منذ عقود طويلة.

وكان مما أعان عـــلى ذلك الأثر الإيجابي: انخفاض

استخدام وسائل المواصلات بأشـــكالها المختلفة، وما صاحب ذلك من التقليل من مخلّفاتها الملوثة للبيئة، وما شهده العالم من إغلاق المصانع، وهو ما تبعه انخفاض ضخ الكثير من الغازات الســـامة في سماوات المناطق الصناعية وهو مـــا أثبتته صور الأقمـــار الصناعية، وتقييد حركة الســـيارات ساعات عدة في كثير من مدن العالم، وتراجع منظومة إحراق الفحم الحجري داخل أتون محطات توليد الطاقة جراء انحســـار استهلاك الكهرباء في مختلف القطاعات الصناعية والتجارية.

وكان من نتاج ذلك ما لمسه سكان الكثير من المدن من تغير إيجابي بهي الحلة في أجواء البيئة من حولهم، فمدينة البندقية على سبيل المثال، ونتيجة لتوقف حركة القوارب الملوثة في قنواتها، أخذت تتحوّل مياهها المليئة بالرواسب إلى مياه نقية، وها هي -كما يقول العلماء- أنواع الأســـماك والمخلوقات البحرية المختلفة تعود إلى ميناء المدينة بعد طول غياب. والمثال الآخر ما شـــهدته أجواء الكثير من المدن الصناعية من صفاء في أجوائها، ونقاء في محيطها، بعد أن مكثت تحت نير التلوث البيئي عقوداً طويلة.

ومما أفدنا منه كذلك من دروس جائحة (كورونا): تنمية الشـــعور الإيجابي بالانتماء إلى الوطن، وخدمة المجتمع، وتجنب (الأنا)، والتفكير الإيجابي في الآخرين. ويتجلى ذلك -على ســـبيل المثـــال- بالالتزام بالقواعد الصحية التي تحث على تخفيـــف التجمعات، واتباع إرشـــادات السلامة الخاصة بوســـائل انتقال العدوى كالعطاس والســـعال واللمس، حرصاً على ســـلامة الآخرين.

وتعلـــم الكثيرون في ظل جائحـــة (كورونا) حفظَ النعمة واحترامها، وذاعت بين صفوفهم ثقافة إيجابية تَذُمّ الهدر والإسراف تحســـباً لنائبات الدهر وقادمات الأيام.

ومن ثمرات الحجر المنزلي الـــذي فرضته ظروف الجائحة أيضاً ما لمســـه كثيرون مـــن توطيد الروابط الاجتماعية، وتحســـن أحوالهم الأسرية متمثلاً في منح أفراد العائلـــة فرصة أكبر للتقارب فيما بينهم، وإذكاء الحوار البنّاء، وتعلم بعض المهارات المنزلية، وبذل المزيد من الوقت في تربية الأبناء، وتنمية هواياتهم الشخصية، وملء أوقاتهم بما هو مفيـــد كمطالعة العلوم النافعة مثلاً، ومتابعة البرامج الهادفة عبر قنوات التلفزيون أو مواقع شبكة الإنترنت.

كما أكدت الأزمـــة الصحية الراهنـــة أهمية بذل الاهتمام بمجال البحث العلمي، والإنفاق السخي عليه، دفعاً لعجلـــة الاختراعات العلمية المفيدة للبشرية، ومن ذلك إيجاد علاج ناجع لداء (كورونا) الجديد، أو لقاح ينجـــح في الوقاية منه، وهو ما تصبو إليه الأمم في هذه الأيام.

ختاماً.. فإنّ لما يمرّ به العالم هذه الأيام من ظروف اســـتثنائية أجبرتنا عليها جائحة (كورونا) وجهاً آخر بعيداً عن أضرار الداء وآثاره المدمّرة صحياً واقتصادياً. وهو ما يدفعنا إلى أن نقول: إنّ هذا الداء شرّ وقع ليحدث خيراً ونفعاً مراداً، وهو في المحصلة مصداق لقوله تعالى: «وعسى أن تكرهوا شـــيئاً وهو خير لكم»، وقوله تعالى في آية أخرى: «فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً».

الكورونا
اللغوية في الوطن العربي

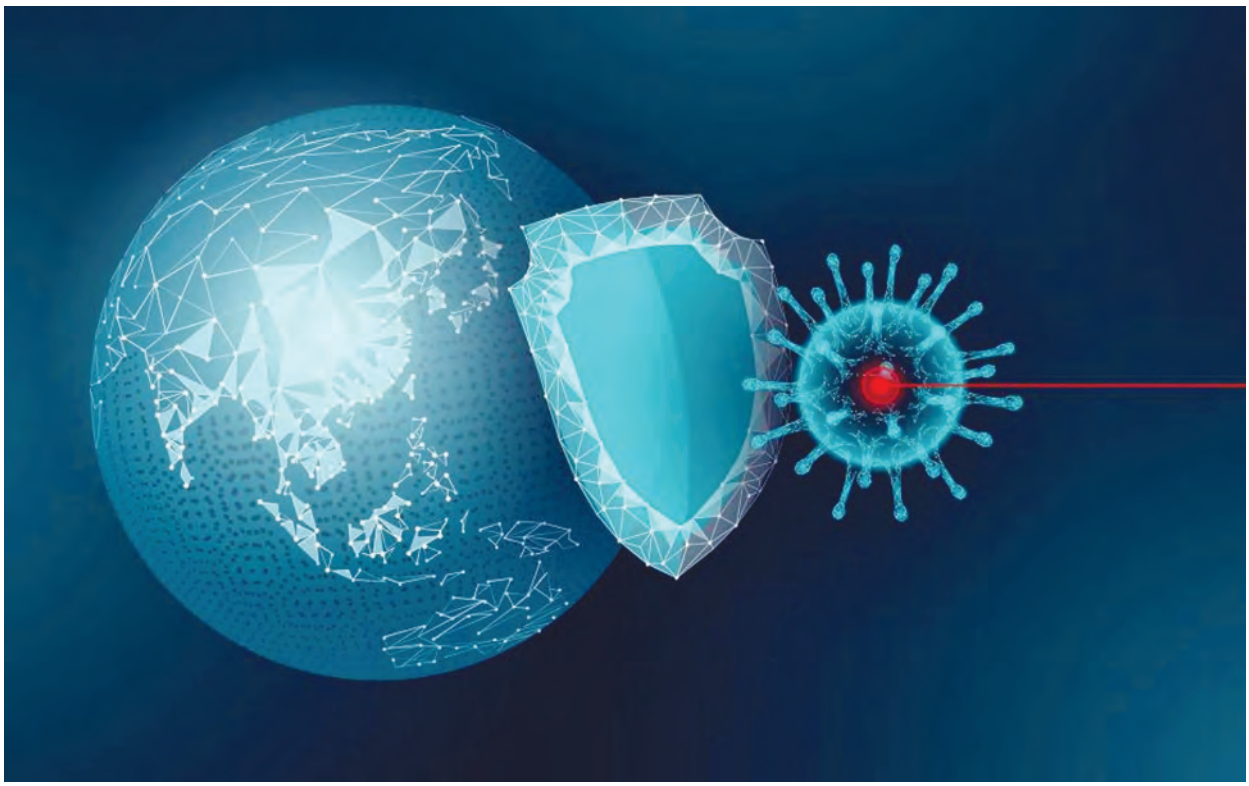

أ.د. محمود الذوادي
عالم الاجتماع تونس

التشابه رغم الاختلاف

تتشـــابه الأشـــياء كثيرا في ظواهر الكوكب الأرضي رغم الاختلاف الظاهر الواسع بينها. فظاهريا يُستبعد للغاية لدى معظم الناس تخيّل مثلا وجود علاقة تشابه بين عدوى مرض الكورونا وعدوى ما يمكن تسميتها «عدوى الاغتراب اللغوي» بين الناس. فحضور التشابه بين الظواهر البعيدة والغريبة عن بعضها البعض على وجه الأرض يطرح تساؤلات معرفية/إيبستيمولوجية ذات أهمية قصوى بالنسبة للرؤى المعرفية في دنيا الفكر والعلم اللذين يسعيان إلى فهم وتفسير الأشياء والظواهر المتعددة التي يحتضنها عالم الأرض. فملاحظة حقيقة تشابه الظواهر المختلفة تلوح معرفيا إلى انحدارها من أصل واحد يوّحد بينها في نهاية المطاف.

عدوى الكورونا والاغتراب اللغوي

يتمثل أحد أخطار مرض الكورونا في كونه معديا وسريع الانتشار بين أفراد المجتمعات في الشرق والغرب

والشـــمال والجنوب، مما جعل انتقاله من الصين إلى بقية أرجاء القارات الخمس في أقل من نصف ســـنة. ومنه، نجحت بامتياز عملية عولمة مرض وباء الكورونا محدثة أضرارا أكثر في الإصابات والوفيات في المجتمعات المتقدمـــة منها في نظيراتها الناميـــة. فمن جهة، يمثل هـــذا الفرق تحديا صارخا لبوصلـــة العلم الحديث في المجتمعات المتقدمة، وفقدان حسن التدبير السباق وغير المتباطئ الذي يقي من تفشي وباء مرض الكورونا كما وقع في البلدان الأوروبيـــة والولايات المتحدة الأمريكية وكندا، من جهة ثانية.

تتنـــوع معالم ظاهرة عدوى الاغـــتراب اللغوي في مجتمعات الوطـــن العربي. فهناك عموما فرق كبير في هذا المجال بين أقطار المغرب العربي والمشرق العربي. لكن تتشـــابه تلك المجتمعات كثيرا في عدوى الاغتراب اللغوي المتمثل مثلا في تدريس العلوم باللغات الأجنبية (الإنجليزية والفرنســـية) عوضا عن اللغة العربية في معظم الجامعات والمعاهد العليا العربية. تمثل عدوى هذا الاغـــتراب اللغوي ظاهرة عجيبـــة في المنطقة، إذ تدرس إسرائيل وإيران وتركيا العلوم بلغاتها الوطنية في جامعاتها ومعاهدها. وبعبارة أخرى، يجوز القول إن انتشـــار ذلك الاغتراب اللغوي في المؤسسات العربية للدراسات العليا يمثل نوعا من العدوى التي تفشت في أغلب البلدان العربية المعاصرة، بحيث أصبحت المحافظة على تلك العدوى – وليس الشـــفاء منها - السياســـة الرســـمية المحبذة لدى المســـؤولين بتلـــك الجامعات والمعاهد وعند النخب السياســـية والثقافية أيضا. لكن لا تقتـــصر ظاهرة عدوى الاغـــتراب اللغوي على عدم اســـتعمال اللغة العربية/الوطنية في تدريس العلوم في معظم الجامعات والمعاهد العربية، بل يتفشى الاغتراب اللغوي إلى الحياة العامة في تلك الأقطار العربية في كل من ســـلوك الكتابة وخطاب الحديث بين عامة الناس وليس بين نخب العلماء والمثقفين والسياسيين فقط.

الاغتراب اللغوي في المجتمع التونسي

يكفي ضرب مثـــال المجتمع التونسي كحالة وافية لظاهرة انتشار عدوى الاغتراب اللغوي أفقيا وعموديا اليوم. تنتـــشر في هذا المجتمع عدوى الاغتراب اللغوي أكثر من انتشار عدوى مرض الكورونا، وهي ظاهرة لا يكاد يفكـــر فيها أحد. فالأمثلة عـــلى ذلك لا تكاد تحصى، فأغلبية التونســـيات والتونسيين لا يكتبون صكوكهم/شـــيكاتهم البنكية ورســـائلهم الهاتفية بالحـــروف العربية ولا ينطقون أيضا أرقام الهواتف باللغة الوطنية/العربية نتيجة لما نسميه تفشي عدوى ضعف التعريب النفسي لدى معظمهم. إن الباحث في المسألة اللغوية في المجتمع التونسي الحديث يجد فيه حالة ضُعف التعريب النفسي لدى معظم التونسيات والتونسيين. يعني مصطلح ضعف التعريب النفسي عندنا التالي: لا تحتـــل اللغة العربية (اللغة الوطنية) عند أغلبية واســـعة بالمجتمع التونسي نفسيا وعفويا المرتبة الأولى في نفوس وقلوب وعقول واســـتعمالات معظم هؤلاء خاصة المثقفـــات والمثقفين والمتعلمات والمتعلمين منهم. فمن منظور علم النفس الاجتماعي يمكـــن القول إنه يوجد قبل الثـــورة وبعدها موقف نفسي جماعي مُعديا لدى جل التونسيات والتونسيين لا يســـمح لهم بتطبيع علاقتهم مع لغة دستورهم. ويعني التطبيع هنا أن تصبح العلاقة بين التونسيات والتونسيين واللغة العربية من نوع العلاقة العضوية التي تربـــط عادة بين المجتمعـــات ولغاتها الوطنية والمتمثلة في اســـتعمال اللغـــة الوطنية وحدها في كل قطاعات المجتمع والشـــعور نفسيا بالاعتزاز الكامل باستعمالها والدفاع عنها.

بنود أبجدية العلاقات مع اللغات

تقول هذه الأبجدية إن العلاقة الطبيعية بين الناس ولغاتهم تتمثل في ممارسة أربعة بنود لميثاق اللغات:

١- استعمالهم لها وحدها بينهم في الحديث في كل شؤون حياتهم الشخصية والجماعية.

٢- استعمالهم لها فقط بينهم في الكتابة.

٣- المعرفـــة الوافية للغة والمتمثلة في معرفة معاني مفرداتها والإلمام بقواعدها النحوية والصرفية والإملائية وغيرها.

٤- تنشأ عن هذه العلاقة الســـليمة التفاعلية مع اللغة في ١و٢و٣ ما نسميها «العلاقة الحميمة» مع تلك اللغة والتي تتجلى في المواصفات النفســـية والسلوكية التالية: حب للغة والغيرة عليها والدفاع عنها والاعتزاز بها قبل حضور عدوى تلك المواصفات لأي لغة أو لغات أخرى يمكن أن يتعلمها الأفراد في مجتمعاتهم.

أبجدية فهم العلاقة الحميمة مع اللغات

يساعد منظور علم اجتماع المعرفة على فهم العلاقة الحميمة التي تربط الناس باللغات إن هم استعملوها هي فقط بالكامل شفويا وكتابة (١+٢) في كل شؤون حياتهم الفرديـــة والجماعية منـــذ الطفولة وعرفوا مفرداتها وقواعدهـــا النحوية والصرفية وغيرها (٣). يجوز القول بكل بساطة إن تلك العلاقة الحميمة (٤) مع لغات الأم أو اللغـــات الوطنية هي نتيجة لعملية التفاعل/الاســـتعمال المكثف معها ولها الذي يُنتظر أن ينشئ مثل تلك العلاقة النفسية القوية التي تخلق علاقة وثيقة ومتينة، أي حميمـــة مع اللغة. وبعبارة علم الاجتماع، فمثل ذلك التفاعل يؤدي إلى ما يســـميه هذا العلم بالعلاقة الأولية مع اللغة. وهي علاقة نَدِّية بالعواطف والشـــعور والتحمـــس لصالح اللغة. كل ذلك هو حصيلة لتنشئة لغوية اجتماعية طبيعية منذ الصغر تقتصر على استعمال اللغة الأم أو الوطنية مما يمنع تسرب عدوى الاغـــتراب اللغوي. يمكن صياغة مقولتنا بخصوص العلاقة مـــع اللغات في معادلتين شبه حسابيتين:

١- الالتزام الكامل بالبنود الأربعة (١+٢+٣+٤)= علاقة ســـليمة مع اللغات رافضة لعـــدوى الاغتراب اللغوي.

٢- الالتزام الجزئي أو عدم الالتزام الكامل بالبنود الأربعة (١+٢+٣+٤) = علاقة غير سليمة مرحبة كثيرا أو قليلا أو ما بينهما بعدوى الاغتراب اللغوي.

وباء الاغتراب اللغوي في المؤسسات

تنتشر عدوى الاغتراب اللغوي أيضا في المؤسســـات الوطنية التونسية. فالبلديات لا تطبق في الغالب قوانين السياســـات اللغوية المنادية بكتابـــة اللافتات باللغة العربية أولا وبحروف كبيرة فوق اللغة الفرنســـية أو الإنجليزية، إن لزم الأمر. فليتجول المرء في القرى والمدن التونســـية ولينظر إلى اللافتات في الشـــوارع وداخل المراكز التجارية مثل أزير سيتي. فكيف انتشرت هذه العدوى ويستمر احتضانها من طرف الكبير والصغير والمرأة قبل الرجـــل؟ ذلك هو الســـؤال الذي لا يكاد يطرحـــه معظم هؤلاء. ربما يُشـــفى المجتمع التونسي وغيره من المجتمعات العربيـــة من وباء عدوى مرض الكورونا قريبا أو في المســـتقبل المنظور أو البعيد. أما الأمر المؤكد بهذا الصدد، فإن عدوى انتشـــار الاغتراب اللغوي في هذه المجتمعات لن يقضى عليها في المستقبل القريب بسبب غياب حملات التوعية وسياسات الحجر وفقدان المناعـــة اللغوية لدى القمـــة والقاعدة ومن بينهما في هذه المجتمعات. لقد أكد المفكرون في الغرب والشرق أن حرص حماية الشعوب للغاتها يضمن لها بقوة مناعة أقوى لحدودها ولهويتها وشخصيتها من حماية الجبال والغابـــات والأنهار والبحار لجميع تلك المعالم الرئيسية الحاســـمة لوجود سليم آمن وناهض للمجتمعات البشرية.

الانبهار وسرعة تفشي الكورونا اللغوية

إن تحليل العلـــوم الاجتماعية لظاهـــرة كورونا الاغتراب اللغـــوي في المجتمعات العربيـــة وغيابها في المجتمعات المجاورة كإيران وإسرائيل وتركيا يشير في المقام الأول إلى الانبهار الكبـــير الأعمى الذي يحتضنه العرب نحو الغـــرب وحداثتـــه وفي طليعتهم النخب السياســـية والثقافية العربية منذ القرن التاسع عشر. فمعظم تلك النخب درســـت في الغـــرب أو تعلمت في بلدانها الكثير من فكر الغرب ولغاته خاصة الإنجليزية والفرنســـية. فحصل عند الكثيرين اغتراب شديد عن الفكر العربي والإســـلامي وعن اللغـــة العربية اللغة الوطنية الأولى في المجتمعات العربية. والسؤال المشروع والواجب طرحـــه لمحاولة فهم ظاهرة كورونا الاغتراب اللغوي في أغلبية المجتمعات العربية المعاصرة هو: لماذا ينفرد العرب ليس بين جيرانهم فقط بكورونا الاغتراب اللغوي بل أيضا بين الكثـــير من المجتمعات المعاصرة في الشرق والغرب؟ وبعبارة أخرى، لماذا يشكو معظم العرب مما أسميه فقدان التعريب النفسي؟

غياب مصطلح التعريب النفسي

يؤكد اطلاعي على كثير من أدبيات الدراســـات في الوطن العربي حـــول وضع اللغة العربية أن مصطلح «التعريب النفسي» غائب بالكامل فيها. فعلى ســـبيل المثـــال، فالبيان الذي نشرته مؤسســـة الفكر العربي بعنوان «لننهـــض بلغتنا» في مجلـــة العربي (يناير ٢٠١٣) لا يكاد يتطرق للجوانب النفسية في المجتمعات العربية التي لا تعمل لصالح اســـتعادة اللغة العربية لمكانتها المشروعة في نفوس وقلوب وعقول واستعمالات مواطني ومؤسســـات تلك المجتمعـــات. لقد اقتصرت فقرات هـــذا البيان على الحديث عـــن إجراءات مادية لحماية اللغة العربية والارتقـــاء بها مثل تمويل دعم اللغة العربية وتكريس يوم واحد في السنة للغة العربية وسنّ القوانين لصالحها ووجوب استعمال اللغة العربية الفصيحة الميسرة في وسائل الإعلام الخاصة والعامة... يشـــير هذا الصمتُ عن الجوانب النفسية لقضية اللغة العربية أن المشـــاركين في كتابـــة بيانهم تغلب عليهم الرؤية التقليدية في التعامـــل مع وضع اللغة العربية. وبعبارة أخرى، فقد أهملوا الإشـــارة على الأقل إلى دور العوامل النفسية والاجتماعية في التأثير سلبا أو إيجابا على اللغة في المجتمع.

قصور معاني التعريب في المغرب العربي

تمثل المجتمعات المغاربية (الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيـــا) مثالا لغياب مفهـــوم التعريب النفسي. فمصطلح التعريب بعد الاســـتقلال في تلك المجتمعات يعني استعمال اللغة العربية في الحديث والكتابة بدل اللغة الفرنســـية في الإدارات والمدارس ومعاهد التعليم العالي والجامعات وغيرهـــا من القطاعات. لكن عملية التعريب الكاملة في البلدان المغاربية هي أكثر من مجرد تحقيق الجانبين الشفوي والكتابي في عملية التعريب. يتمثل الجانب الآخر أو الثالث والأهم بالنســـبة لنجاح مســـألة التعريب في خلق علاقة نفسية طبيعية حميمة تربط المواطنين ومؤسسات المجتمعات المغاربية باللغة العربية/الوطنية. إن الدارس لهذه العلاقة بعد عقود من اســـتقلال هذه المجتمعات يجـــد أن اللغة العربية تحظى بمكانة ضعيفة نفســـيا واستعمالا عند أغلبية مواطنيها. يدل وجود مثل تلـــك العلاقة الضعيفة أن عملية التعريـــب ينقصها أهم عنـــصر وهو التعريب النفسي الـــذي يتحقق الظفر به عندمـــا يلبي معظم المواطنين البنـــود الأربعة للعلاقة الســـليمة مع اللغة العربيـــة المتمثلة في المعادلة الســـابقة الذكر: الالتزام الكامل بالبنود الأربعـــة (١+٢+٣+٤). يبين التحليل أن الشـــفاء من عدوى كورونا الاغتراب اللغوي العربي يتم بممارســـة كاملة لتلك البنود في المجتمعات العربية في المغرب والمشرق.

رئيس مجلس الشؤون الإسلامية في الكونغو برازافيل :

بسبب الحرب انقطعت سبل السفر للدراسة في البلاد الإسلامية

حوار: د. محمد تاج العروسي

رحلة طويلة حملت طالب العلم يوسف نجولا بين ثلاث دول؛ من الكونغو برازافيل إلى السودان ثم إلى المملكة العربية السعودية.

الشيخ يوسف يترأس اليوم المجلس الإسلامي الأعلى بجمهورية الكونغو برازافيل. التقينا به على هامش إحد مؤتمرات رابطة العالم الإسلامي، فكانت هذه الحصيلة من المعلومات عن بلاده وأوضاع الإسلام والمسلمين، وتطلعهم للمستقبل. فإلى الحوار:

تقع جمهورية الكونغو الشعبية غرب قارة إفريقيا على ساحل المحيط الأطلسي، تحدها من الشمال الجابون، والكاميرون، وجمهورية إفريقيا الوسطى؛ ومن الشرق جمهورية الكونغو الديموقراطية؛ ومن الجنوب جمهورية الكونغو الديموقراطية، وأنجولا؛ ومن الغرب المحيط الأطلسي، والجابون، وتبلغ مساحتها ٣٤٢ ألف كيلومتر مربع.

من أبرز مدنها مدينة برازافيل العاصمة، ويفصل بينها وبين كينشاسا عاصمة جمهورية الكونغو الديموقراطية (نهر الكونغو)، وتقعان متقابلتين على ضفتي النهر، وبذلك تعتبر هاتان المدينتان أقرب عاصمتين متقاربتين، حيث يبعدان كيلو مترين فقط عن بعضهما.

وفيما يلي حوار مجلة الرابطة مع رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجمهورية الكونغو الشعبية، فضيلة الشيخ يوسف إيدي سيرج نجولا.

هل نتعرَّف عليكم أولا؟

أنا نجولا إيدي سيرج، هذا هو اسمي الرسمي المسجل لدى الدولة، وبعد دخولي في الإسلام أضفت إليه اسم يوسف، فأصبح اسمي الكامل الآن يوسف إيدي سيرج نجولو.

منَّ الله عليَّ بالإسلام قبل خمس وعشرين سنة، فلله الحمد والشكر، وكنت قبل ذلك نصرانيًا أتبع المذهب الكاثوليكي. درست المرحلتين الابتدائية والثانوية في المدرسة الكاثوليكية، حتى أكون قسيسًا، وأثناء دراستي المرحلة الجامعية أكرمني الله بالدخول إلى دين الإسلام،

وكنـــت أدرس القانون باللغة الفرنســـية، وبعد إتمام مرحلة البكالوريوس ســـافرت إلى السودان بنية دراسة اللغة العربية، والعلوم الشرعية كي أكون على بصيرة من أمور ديني، وحتى أعبد الله تعالى على بصيرة.

كم سنة قضيتها في السودان؟

مكثت في الســـودان أكثر من ست سنوات، فقد قُبِلت أوّلاً بجامعـــة إفريقيا العالمية في تعليـــم اللغة العربية للناطقين بغيرها، درســـت فيها لمدة سنتين، ثم التحقت بعد ذلك بجامعة إفريقيا العالمية وحصلت على دبلوم بعد سنتين، ثم وجدت قبولاً في معهد للعلوم الشرعية، قرابة عامين ثم عدت إلى بلدي الكونغو.

هل يوجد عدد من الطلاب من بلدكم في جامعات السودان؟

هناك عدد لا بأس به درسوا في الجامعات المختلفة في الســـودان وتخرجوا فيها، وعادوا جميعا إلى البلد، ولكن في الوقت الحاضر لا يوجد في جامعات السودان أحد من طلاب الكونغو بســـبب الحروب التي كانت في دارفور، والتي أدت إلى انقطاع الطرق التي كان يسلكها الطلاب للســـفر إلى الســـودان، فهم يذهبون عن طريق تشاد، ويمرون بـــ «أبشي والجنينة»، ثم يســـتمرون في السير ويمرون بـــ «نيالا» فيدخلون منها إلى أرض السودان برًّا، ونأمل أن تتحسن الظروف في السودان حتى نرسل عددًا كبيرًا إلى الجامعات المختلفة هناك.

كيف تم قبولك في الجامعة الإســـلامية بالمدينة المنورة؟

في أثناء دراســـتي في السودان ســـافرت إلى المملكة العربية السعودية لأداء العمرة، وقدَّمت أوراقي للجامعة الإســـلامية بالمدينة المنورة، ثم عدت إلى السودان لأكمل المرحلة المتبقية من الدراسة، وبعد سنة ونصف جاءني قبول في الجامعة الإســـلامية بالمدينـــة المنورة، واخترت كلية الدعوة وأصـــول الدين؛ لأني حريص على أن أكون

داعيًا في بلدي، بقيت بالمدينة المنورة أربع سنوات، وأثناء دراســـتي بالجامعة كنت أعمل في الفترة المسائية مدرسًا للغة الفرنسية في معهد اللغات بالجامعة.

هل لـــك أن تشرح لقـــراء المجلـــة تحولك من المسيحية إلى الإسلام؟

كنت كثير القراءة للكتب التي ألفت باللغة الفرنسية عن الإسلام، وأقارن بينها وبين ما في الإنجيل وأجد فرقًا كبيرًا، مما جعلني أستمر في القراءة في المراجع المختلفة رغبة في الوقوف على حقيقة الدين الإسلامي. وقابلت كذلك بعض الزملاء من تونس يدرسون في الجامعة، وتناقشت معهم حول بعض المســـائل التي تحتاج إلى مزيد من التوضيح. وكان هذا الحوار دافعًا قويًا للاستمرار في القراءة. وهناك عامل آخر ســـاهم في قناعتي للدخول في الإسلام، ألا وهو المناظرات بين الإســـلام والمســـيحية، فقد تأثرت بكتاب نفيس في هذا المجال، لا يحضرني الآن اســـم المؤلف، وهو في الأصل عبارة عن حوار جرى بين مسلم ونصراني، فقد وجدت في هذا الكتاب ما جعلني أقتنع بأن الإسلام هو دين الحق الذي لم يبدل ولم يغير، ولم يحرَّف.

ما هي الجهود التي قمت بها لخدمة الإسلام بعد عودتك من الدراسة في الخارج؟

كنت مهتما بتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، وأركز على بيان محاســـن الدين الإسلامي، ووفقني الله تعالى في إدخال عدد كبير من الناس في الإسلام من عامة النـــاس، وبعض العاملين في الدولـــة وخاصة العاملين في مجال الشرطة. وكنت أقـــوم مع مجموعة من الدعاة بجولـــة دعوية في مناطق مختلفة، بما يســـمى «قافلة الدعـــوة»، ونأخذ أولا الرخصة من الجهات الرســـمية لإقامة دورة دعويـــة في المنطقة التي نرغب في زيارتها، ونعلن عن برنامج الدورة رســـميًا في التلفزيون، ولذا يحـــضر اللقاء الذي نقيمه عدد كبـــير من أهل المنطقة التـــي نزورها، ونحمل معنا مجموعـــة من الكتب التي تشرح الإسلام ونوزعها على المشاركين في الدورة، إضافة إلى ذلك، كنت أجري حوارات مع عدد من القساوســـة الكاثوليكيين، وإذا دخَلْتم على موقع «يوسف أنجولو» في شبكة الإنترنت ستجدون بعض الحوارات التي أجريتُها مع عددٍ من القساوسة المشهورين، وما زلت مستمرا في الدعوة، وإجراء الحوارات مع القساوســـة أيضا، إضافة إلى الاهتمام بإنشـــاء الحلقات القرآنية في المدن والقرى المختلفة، والمدارس الإســـلامية لتعليـــم مبادئ الدين الإسلامي لصغار السن.

وماذا عـــن كيفية دخول الإســـلام إلى جمهورية الكونغو؟ وكم عدد السكان؟ وما نسبة المسلمين الآن؟

دخل الإســـلام إلى الكونغو في منتصف القرن التاسع عشر الميـــلادي، وذلك عن طريق التجـــار الذين جاؤوا من الســـنغال، ومالي، ونيجيريا، وحققوا نجاحات كبيرة في نشر الإســـلام في المجتمع الكونغولي، إضافة إلى جهود المهاجرين الذين جاؤوا من غرب إفريقيا، ومعظمهم من مالي وبنين وتوغو وموريتانيا والسنغال، فقد نشطت كل جالية مسلمة مهاجرة في تشييد المساجد وإنشاء الخلاوي القرآنية في مناطـــق تجمعها، واعتنت بنشر الإســـلام بالمجتمع الكونغولي، ومعظم هـــذه الجاليات تعيش في العاصمة برازافيل، ومدينتي كلبومو، وبوانت نوار.

ولا شـــك أن البدايات كانت فيها أخطاء، ولا سيما في العقائد وعدم الالتزام الصحيح، ثم جاءت فترة انتشـــار الإسلام على الوجه الصحيح. وبدأ ذلك مع عودة الطلاب الذين درســـوا في جامعات المملكة العربية الســـعودية والســـودان ومصر، فكانوا يهتمون بتعليم الناس الدين الإسلامي بعيدًا عن التقاليد والعادات التي كانت منتشرة بين الناس باسم الإسلام.

ويبلغ عدد ســـكان الكونغو خمسة ملايين، أما نسبة المسلمين، فهناك زيادة ملحوظة في نسبتهم الآن، حيث يقدر عددهم بثمانمائة ألف مسلم، أي ما يقارب ٣٪ من مجموع السكان، وقد ســـاهم في ارتفاع هذه النسبة دخول بعض القساوسة إلى الدين الإســـلامي في الآونة الأخيرة وتحولهم

إلى دعاة، مما أدى إلى اعتناق مئات الآلاف الدين الإسلامي.

ما هو المذهب المنتشر في البلد؟

المذهب المالكي هو السائد في البلد، يدرسه الطلبة في الحلقات العلمية التي تقام في المساجد، فلا توجد معاهد دينية أو جامعات تعنى بتعليم العلوم الشرعية، ومعظم المسلمين يرسلون أولادهم إلى المدارس والمعاهد والجامعات الحكومية لدراسة العلوم العصرية فقط. أما التعليم للمرحلة الابتدائية فهناك مدارس دينية في بعض المدن غير أن إمكاناتها المادية متواضعة جدًا، وقد وفقني الله تعالى لإنشاء مدرسة ابتدائية بالتعاون مع بعض الزملاء الذين عادوا من الخارج لتعليم صغار الطلاب المبادئ الدينية، وقد حصلنا على ترخيص من الدولة، ولكننا نواجه صعوبة في توفير متطلباتها.

هل يمكنك أن تشرح لنا نظام الحلقات الدينية عندكم؟

هناك حلقات علمية تقام في معظم المساجد، وأغلب العلماء الذين يُدَرِّسون في هذه الحلقات قَدِموا إلى الكونغو من الدول المجاورة، وأكثرهم من جمهورية مالي، والسنغال، وتشاد، والمذهب السائد عندنا هو المذهب المالكي، وهناك توجه لدى الشباب في عدم التقيد بمذهب معين، فيأخذون من المذاهب الأربعة الرأي الراجح بالدليل.

بعض المجتمعات تعاني من تفرق المسلمين وحصول خلافات بينهم أو وجود جماعات متطرفة تعرقل الدعوة، فكيف تعاملتم مع هذا الواقع إن وُجد؟

ليست هناك خلافات فكرية أو مذهبية بين المسلمين، ولا توجد لدينا كذلك جماعة متطرفة كما هو الحال في بعض الدول الإفريقية، ولكن هناك توجها بلزوم أهل السنة والجماعة لدى الشباب، وخاصة بعد عودة عدد من الدارسين في الخارج، وقيامهم بالدعوة الإسلامية،

ومحاربة بعض المفاهيم والتقاليد التي تتنافى مع العقيدة الإسلامية الصحيحة.

هل هناك مراكز إسلامية تساند المسلمين في بلادكم؟

نعم، توجد بعض المراكز الإسلامية، والهيئات والجمعيات الدينية في العاصمة برازافيل، كما توجد بعض المدارس الدينية، وكتاتيب القرآن الكريم في معظم المناطق، إضافة إلى المجلس الإسلامي الأعلى، والذي يعتبر همزة وصل بين الشعب والجهات الرسمية في الدولة إلى جانب قيامه بتنظيم شؤون المسلمين، وإشرافه على ٢٠٠ مسجد منتشرة على الأراضي الكونغولية.

ويقوم المجلس كذلك بتقديم تسهيلات لبعض المؤسسات الخارجية التي ترغب في تقديم خدمات إنسانية واجتماعية للمجتمع الإفريقي، وخاصة في المجال الصحي، فمثلا هناك مؤسسة طبية في السودان تسمى «مؤسسة البصر الخيرية العالمية»، فهذه المؤسسة لها جهود كبيرة في معالجة مكافحة العمى داخل السودان وخارجه، فلديها قوافل طبية مجانية في ست وعشرين دولة إفريقية منها الكونغو برازافيل.

فبالنسبة لجمهورية الكونغو يتم التنسيق بينها وبين

المجلس الإسلامي الأعلى، ولديها برامج متعددة، تتمثل في تقديم خدمات للفقراء الذين يعيشون في المناطق البعيدة عن المـــدن، وخاصة في القرى والأريـــاف، وتهتم كذلك بتدريب الكوادر الطبية والإدارية لتأهيلهم، ورفع كفاءة العاملين في المجال الطبي، وتحسين مستواهم.

وهناك برنامج إفطار صائم في شـــهر رمضان تقوم به منظمة الدعوة الإســـلامية في السودان، بالتنسيق مع المجلس الإسلامي في الكونغو.

هل يمكنك أن تبين للقراء الجهود التي تقوم بها رابطة العالم الإسلامي لخدمة المجتمع في بلدكم؟

رابطة العالم الإســـلامي كانت لها جهود مشكورة لخدمـــة المجتمع في الكونغو من خـــلال مكتب الرابطة الإقليمـــي في العاصمـــة برازافيل؛ حيـــث يقوم المكتب بالتنسيق مع الجمعيات المحلية لتقديم خدمات مختلفة، تتمثل في نشر الثقافة الإســـلامية، وتقديـــم الخدمات والرعاية الاجتماعية والإنسانية للمجتمع، ودعم المساجد، وحل المشـــكلات، وعلاج التحديات التي تواجه المسلمين، وإشاعة الاستقرار والأمن والسلام في البلد.

ولم تقتصر هذه الخدمات على المســـلمين في الكونغو فقط، بل شملت كُلاًّ من الكونغو كينشاسا، وجمهورية أنغولا، وجمهورية الكاميرون، وجمهورية بنين، وإفريقيا الوســـطى، فجهود مكتب الرابطة في تلـــك البلدان التي ذكرتها آنفا كانت ملموســـة جدا، وتتم كلها بالتنسيق مع المجالس والمؤسسات الإسلامية والثقافية في كل بلد، ولكن توقفت هذه الجهود بعد أن أغلق مكتب الرابطة في الكونغو.

وأنا الآن أسعى لتوجيه الدعوة للمسؤولين في الرابطة لزيارتنا، ومناقشة موضوع إعادة فتح المكتب من جديد؛ نظرًا لما له من أهمية كبيرة في بلدي الكونغو، وفي الدول المجاورة التي كانت تستفيد من أنشطة المكتب المختلفة والمتعددة سابقا.

ونحن على استعداد تام للتعاون مع الرابطة في نشر المعرفة الإســـلامية الصحيحة، وحل مشكلات المسلمين الذين يعتبرون في مجتمع الكونغو أقليةً ناميةً تســـعى للمشـــاركة في تنمية البلد، وإصـــلاح المجتمع وتحقيق التعايش والتعـــاون بين أطياف النســـيج الاجتماعي والمكونات العرقية والثقافيـــة والدينية المتعددة، متمنياً من رابطة العالم الإسلامي الاستمرار في عقد الملتقيات في الدول الإفريقية.

مـــا هي الأمور الأساســـية التي يحتـــاج إليها المجتمع المسلم في الكونغو لتحسين مستواه؟

المجتمـــع المســـلم في الكونغو يعانـــي من ضعف مســـتوى التعليم الديني، فهو بحاجة إلى إنشاء مدارس إسلامية عديدة في المناطق المختلفة، وتقديم الدعم المادي للمدرسين.

فهناك مجموعة كبيرة من المدرســـين ممن درســـوا بجامعات المملكة العربية الســـعودية، والأزهر الشريف، وجامعة إفريقيا العالمية، وجامعة أم درمان الإســـلامية، وغيرهما من الجامعات الموجودة في الســـودان، ولديهم استعداد للالتحاق بالسلك التدريسي، إذا وُجد من يقدِّم لهم الدعم المادي، ونتطلع كذلك إلى إنشاء مركز إسلامي يحتوي على مسجد، ومكتبة علمية، ومستوصف طبي.

ما أوجه التعاون بينكـــم وبين أصحاب الأديان الأخرى في بلدكم؟

بحمد الله، ليســـت هناك خلافـــات تذكر بيننا وبين المسيحيين، بل هناك نوع من التفاهم والتعايش السلمي، وإذا حدث شيء من سوء التفاهم بين المسلمين أنفسهم، أو بينهم وبين الآخرين فيتم حله بسرعة بدعم من الدولة، والمسلمون رغم أنهم أقلية إلا أنهم يجدون تقديرًا كبيرًا لدى الدولة، فعلى ســـبيل المثال يســـمح لنا بأداء صلاة العيدين ســـنويا أمام قصر رئيس الجمهورية دون أن يتعرض لنا أحد من أتباع الأديان الأخرى بسوء، وعندي برنامج في التلفزيون الحكومي أسبوعيًا.

التعايش الحضاري في الإسلام وسبل ترسيخه

إعداد: زكريا أيوب دولا
الباحث في رابطة العالم الإسلامي

كانت شريعة الإسلام وما زالت هي الشريعة الكاملة المتوازنة في الجوانب والمجالات كافة، والصالحة لكل زمان ومكان، وقد نظَّمت هذه الشريعة العلاقات الإنسانية كافة، ورتبت الشؤون في كافة المجالات والجوانب وفق قواعد وأُسس لتحقيق الأمن الكريم، والعيش الهنيء، والسعادة للبشرية جمعاء، بضوابط محكمة ومتوافقة مع فطرة الإنسان وعقله، وسائرة وفق منهج عادل في التعايش والسلام والتعاون والصلاح والإصلاح.

ومن الأمور الهامة التي أولاها الشرع الحكيم عنايةً فائقةً: التعايش الحضاري مع كافة المكونات، ومختلف المجتمعات، وضبط وتنظيم العلاقات فيها ومعها، ولا عجب؛ فإن الإسلام لا يُكره الناس حتى يكونوا مسلمين، ولا يمنع من التعايش والتقارب وتبادل المنافع والمصالح مع مخالفيه، وليس من لوازم الإيمان؛ القطيعة مع الناس، ورفض العيش والمصالح المشتركة معهم.

إن التعايش قبول رأي وسلوك الآخر القائم على مبدأ

الاختلاف، واحترام حرية الآخر وطرق تفكيره وسلوكه وآرائه السياسية والدينية، والقبول بالخصوصيات الحضارية للأمم والشعوب المختلفة من أجل تأسيس تعايش حضاري قائم على الاحترام المتبادل، وهو بهذا يتعارض مع مفهوم التسلط والأحادية والقهر والعنف.

ومن أهم مرتكزات التعايش الحضاري في الشريعة:

١/ وحدة الأديان السماوية في أصولها:

يرجع الإسلام الأديان السماوية كلها إلى أصل واحد، وهو الوحي الإلهي، وأن شرائع الله تعالى قد انبثقت من مشكاة نور واحد، ولذلك يدعو الإسلام إلى الإيمان بجميع الأنبياء السابقين، والكتب السماوية، قال تعالى: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (البقرة: ١٣٦).

٢/ الإقرار بالاختلاف والتعددية: من سنن الله أن الناس مختلفون في أديانهم وأفكارهم وتصوراتهم ومذاهبهم الفكرية وتوجهاتهم المتنوعة في مختلف مناحي الحياة، قال الله تعالى: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ» (البقرة: ٢١٣).

٣/ احترام المواطنة: ضمن الإسلام حقوق المواطنين، وتمتع الجميع بسائر الحقوق مثل حق الحماية، من حماية النفس، وحماية العرض، والسكن، وحق التعليم، وحق العمل والكسب، وتعد وثيقة المدينة أول أساس ينظم للمواطنة، ويحدد واجبات سكان المدينة المنورة بغض النظر عن دينهم، فالإنسان محترمٌ لذاته بغض النظر عن أي اعتبارٍ آخر.

٤/ الحرية المسؤولة: قرر الإسلام حرية الإنسان، ووضع له الضمانات الكفيلة، كون الحرية هي أكبر مظاهر الكرامة الإنسانية، وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان، واحترام إرادته وفكره ومشاعره.

٥/ حفظ كرامة الإنسان: كرم الله تعالى الإنسان مع قطع النظر عن جنسه أو لونه أو عرقه، ورفع منزلته على كثير من خلقه، قال الله تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا» (الإسراء: ٧٠).

٦/ العدل: العدل هو ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق، وهو إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به، ولا صلاح فيها إلا معه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدلٍ قامت، وإن لم يكن صاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدلٍ لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يُجزى به في الآخرة. (مجموع الفتاوى ٢٨/ ١٤٦).

٧/ البر والمعاملة الحسنة: أمر الله المسلمين ببر المخالفين ما لم يتعرضوا لهم بالأذى والقتل، قال تعالى: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» (الممتحنة: ٨)، ومما يشمله البر: التعاون؛ إذ من أسس التعايش الحضاري التعاون الشامل على المشتركات الإنسانية التي من شأنها توفير العيش الكريم لمختلف الشعوب.

ومن أعظم الأسس التي بنت عليها الشريعة الإسلامية التعايش الحضاري مع غير المسلمين؛ أساس الرحمة الشاملة للبشر على اختلاف مللهم ونحلهم، بل والشاملة حتى للبهائم والجمادات، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» (الأنبياء: ١٠٧).

ويمكن إجمال أبرز السبل المعزِّزَة، والأسس المجَسِّدة لترسيخ التعايش الحضاري، وتعزيزه

وتكريسه على أرض الواقع بما يلي:

- ضرورة وجود القناعة التامة والإرادة الحرة، والرغبة المشتركة بين أهل الأديان السماوية للتعايش؛ بمعنى أن تكون هذه الرغبة والإرادة والقناعة نابعة من الذات من غير أي تأثير خارجي عن الذات، كالضغوط المفروضة عليهم، مهما كان شأنها ومهما كانت أسبابها.

- التفاهم والاتفاق المشترك على أهداف التعايش وغاياته التي تخدم الإنسانية كلها، وتحقق مصالحها العليا وعلى رأسها السلم العالمي والأمن والأمان مما يحول بينها وبين نشوء النزاعات والحروب المختلفة.

- الاعتراف بأن الحوار والتفاهم بين الأديان، والوعي بالاختلافات والقواسم المشتركة بين الشعوب والحضارات، يسهم في الحلّ الحضاري للنزاعات، ويقلّل من العنف ويمكّن الناس من تقبّل التنوع الإثني أو الثقافي أو الديني، كما أن الحوار بين الأديان يجب أن يركز على ما تشترك فيه الأديان بدلاً ممّا يفرق بينها، بالإضافة لتمكين العلاقات بين الثقافات والحضارات.

- من أهم الحصون لمبدأ التعايش الحضاري: النقد الذاتي؛ حيث إن حصانة النقد الذاتي التي تزدهر في مجتمعات التعايش الحقيقي تكون لها بمثابة المسار الذي يصفي صحة المجتمع والوطن باستمرار، وبالتالي يصبح نمط التعايش في أي مجتمع هو حصانة مستمرة من الارتداد والنكوص إلى حضيض الأمراض الاجتماعية المزمنة من قبلية ومناطقية وطائفية.

- المعرفة شرط ضروري من شروط مجتمعات التعايش الحضاري؛ لأنه من خلال المعرفة والإدراك تتفهم المجتمعات المتحضرة اختلافاتها فيما بينها من ناحية، واختلافات المجتمعات المغايرة لها، وما يتصل بذلك من عادات وتقاليد وبيئات حضارية من ناحية أخرى، ولهذا فإن مجتمعات المعرفة تجعل اختلافاتها فيما بينها، واختلافاتها مع غيرها، مادة غنية للعيش المشترك، لا مادة للصراع.

- ضرورة مراعاة النظام، ويعنى به: القواعد والقوانين التي تحكم طبيعة التعايش الحضاري، بحيث يصبح التعايش بذاته، العلامة الفارقة في أي مجتمع عبر تطبيقات النظام الذي يؤطر ويحرس نمط التعايش وازدهاره في ذلك المجتمع.

- أهمية تضمين مناهج التعليم مفاهيم تؤسس للتنوع -الفكري والاجتماعي-، بما يضمن تكوين جيل متعايش، ومتسامح.

- ضرورة اضطلاع الإعلام بدوره في تحقيق، وتعزيز تعايش أفراد المجتمع بعضهم مع بعض، وذلك من خلال ما يُقدَّم عبر القنوات الإعلامية المختلفة، والتصدي لوسائل الإعلام المثيرة لمفاهيم الازدراء والكراهية والتحريض وتأجيج الفتن بين المسلمين وغيرهم.

- ضرورة توعية المجتمع، وتثقيفه بأهمية التعايش الحضاري، وذلك من خلال تكاتف وتضافر جميع مؤسسات المجتمع، والاهتمام بدور الأسرة، وأماكن العبادة، والتي يقع على عاتقها دورٌ مهمٌ في تعزيز التعايش، إذ التعايش لا يمكن أن يتحقق بعيدا عن منظومة مؤسساتية متكاملة قادرة على إدارته إيجابًا.

- تطوير الخطاب الحضاري بما يراعي فوارق الزمان والمكان والحدث، ويتلاءم مع ثوابت الإسلام، ويعالج مشكلات المجتمعات المعاصرة، بعيدا عن الانفعال وردود الفعل الآنية التي تغفل عن الآثار البعيدة.

- استلهام الدروس من الماضي، وإعادة الأنظار والتفكير في التجارب السابقة في صناعة مستقبل واعد بترسيخ مبادئ التسامح والتعايش الحضاري بين أتباع الثقافات والحضارات، واستثمار النجاحات في صياغة برامج تطور آليات التعايش وتتجاوز معوقاته.

دعوة للتسامح
من القرآن والسنة

د. آمال محمد حسن عتيبة
أستاذ مشارك بجامعة أم القرى

جاء الإســـلام ليقيم أركان المجتمع على الفضائل وحُســـن الخلق والصفات النبيلة، ويكفكف نزوات الإيذاء والظلم والتســـلط والإساءة إلى الغير. فلقد بعث الله محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الدين القويم الذي أكمله، وهذه الشريعة الســـمحة التي أتمها ورضيها لعباده المؤمنين، وجعلهم أمة وسطاً، فكانت الوسطية لهذه الأمة خصيصة من بين ســـائر الأمم ميزها الله تعالى بها، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَـــطا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:١٤٣). فهي أمة العدل والاعتدال التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل انحراف يميناً أو شـــمالاً عن خط الوسط المستقيم، وقد كان من مقتضيات هذه الوسطية التي رضيها الله تعالى لهذه الأمة اتصافها بكل صفات الخير والنبل والعطاء للإنســـانية جمعاء؛ وكان من أبرز تلك الصفات (العدل، والتسامح، والمحبة، والإخاء، والرحمة، والإنصاف).

وكذلك جاء الإســـلام بالحب والتسامح، والصفح، وحســـن التعايش مع كافة البـــشر، ووطد في نفوس أبنائه عدداً من المفاهيم والأسس من أجل ترسيخ هذا الخلق العظيم ليكون معهـــا وحدة متينة من الأخلاق الراقية التي تســـهم في وحدة الأمة، ورفعتها والعيش بأمن وسلام ومحبة وتآلف. ومن تلك المفاهيم: العفو، والتســـامح، والصفح عن المسيء، وعدم الظلم، والصبر على الأذى، واحتساب الأجر من الله تعالى، حيث جاءت نصوص قرآنية وأحاديـــث نبوية لتأكيد هذه المفاهيم، وإقامة أركان المجتمع المســـلم الســـليم على الفضل، وحســـن الخلق، ومنها قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف:١٩٩). وقال تعالى أيضاً: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر:٨٥). وكذلك قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢). فإن ذلك كله من شأنه ترسيخ دعائم الأمن والأمان في المجتمع.

وعن عائشة رضيَّ اللهُ عَنْهَا قالت: «ما ضرب رسول

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في ســـبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبـــه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى» (رواه مسلم).

وعن أنس - رضيَّ اللهُ عَنْهَ – قال: «كنت أمشي مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّم وعليه برد نجراني غليظ الحاشـــية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ - وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك ثم أمر له بعطاء» (متفق عليه).

وغير ذلك من الآيات والأحاديـــث الدالة على فضل التسامح والعفو والصفح عن الناس، والصبر على الأذى، ولا ســـيما إذا أوذي المرء في الله فإنه يصبر ويحتسب وينتظر الفرج. فالرســـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألّف حول دعوته القلوب، وجعل أصحابه يفدونها بأرواحهم وبأعز ما يملكون بخُلقه الكريم، وحلمه، وعفوه، وكثيراً ما كان يســـتغضب غير أنه لم يجـــاوز حدود التكرم والإغضاء، ولم ينتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها.

ولما فتح رســـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ مكة ودخلها نهـــاراً بعد أن خرج منها ليلاً، وحطم الأصنام بيده، وقف أهل مكة يرقبون أمامه العقاب الذي سينزله بهم رسول الله جزاء ما قدموه له من إيذاءٍ، لا يحتمله إلا أهل العزائم القوية، إلا أنه قال لهم: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا خـــيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء. فاســـترد أهل مكة أنفاسهم وبدأت البيوت تفتح على مصاريعها لتبايع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لقد برز حلم وتسامح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ، في هذا الموقف الذي سار عليه الأنبياء من قبله، فما أجمل العفو عند المقدرة.

وهكـــذا جاء الإســـلام ليقيـــم أركان المجتمع على الفضائل، وحُســـن الخلق والصفات النبيلة التي منها التسامح والصفح، والعفو عن الإساءة والأذى، والحلم وترك الغضب والانتصار للنفس. فالإنسان منا في حياته يلاقي كثيرا مما يؤلمه ويسمع كثيرا مما يؤذيه، ولو ترك كل واحد نفسه وشـــأنها لترد الإساءة بمثلها لعشنا في صراع دائم مع الناس، وما استقام نظام المجتمع، وما صلحت العلاقات الاجتماعية التي تربط بين المسلمين، فالإنســـان في بيته ومع أسرته قد يـــرى ما يغضبه، ومطلوب منه شرعا أن يكون واسع الصدر يسارع إلى الحلم قبل أن يســـارع إلى الانتقام، وبذلك تظل أسرته متحابة متماسكة، ومَنْ أخطأ اليوم فقد يصلح خطأه في الغد ويندم على ما قدم من إساءة. والإنسان في عمله في الموقع الذي هيئ له، ســـواء أكان موظفا في وظيفته أم صانعا في مصنعـــه أم تاجرا في متجره يخالط غيره من الناس ويتعامل مع كثير مـــن أبناء المجتمع، وقد يُســـتغضب ويرى ما يســـوؤه، فعليه أن يضع بدل الإساءة إحسانا ومكان الغضب تسامحاً وعفوا وحلما، وأن يتذكر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤].

هذا هو المجتمع الفاضل الذي ينشـــده الإســـلام، مجتمع ود، ومروءة، وخير، وفضل، وإحسان، مجتمع الأمن والأمـــان. مجتمع متماســـك البنيـــان متوحد الصفوف، والأهداف، فقلة الحلم وكثرة الغضب آفتان، إذا استشرتا في مجتمع ما قوضتا بنيانه، وهدمتا أركانه، وقادتا المجتمع إلى هوة ساحقة، وقطعتا أواصر المحبة والألفة التي بين أفراده، كما أن في غياب قيم التسامح تقويضا أيضـــاً لدعائم الأمن الاجتماعي؛ وفي هذا دليل على أثر التســـامح والعفو والصفح عن الإســـاءة على المسلم والمجتمع.

إن التســـامح أمر جوهري ومهم في العالم الحديث اليوم أكثر من أي وقت مضى؛ وذلك لتصاعد حدة عدم

التسامح والنزاع الذي بات خطراً يهدد أمن كل منطقة، بل يشمل العالم بأسره.. ولا يمكن أن تقوم لطائفة أو أمة أو مجتمع من المجتمعات قائمة دون خُلق القيم والمثل العليا، التي هي بمثابة الأسس الوجودية التي يستند إليها المجتمع في تحقيق وجوده وتطوره.

وإن قضية التسامح من أهم القضايا التي اهتم بها الإسلام اهتماماً بالغاً، وحظيت بمساحة كبيرة في دستور الأمة الإسلامية (القرآن الكريم)، وكأن القرآن الكريم يبادر بالدفاع عن الدعوة الإسلامية وعن المد الإسلامي ووصوله إلى كل ربوع الدنيا، ويترقب ما يدعيه أعداء الإسلام زوراً وبهتانا من أن الدين الإسلامي دين جبر وعناد وإكراه واضطهاد؛ ولذا فهو يؤكد على خُلق السماحة والتراحم والبر والصلة بين بني البشر جميعاً قبل بزوغ هذه الفرية، وقبل إيجاد هذه الشبهة، ومن أدل آيات القرآن الكريم على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (الصافات:٣٤-٣٥)، وبهذا يرشد الإسلام أتباعه وأهله إلى التسامح العظيم والصفح الجميل ودفع السيئة بالحسنة، وذلك هو الطريق الكريم الذي يجلب الود الخالص، بل يحوّل العداوة الشديدة إلى حب شديد؛ فيتحقق الأمن والسلام في ربوع المجتمع وجنباته.

ومما يؤكد على أن القرآن الكريم والشرع الإسلامي يريد أن تسري هذه الروح الطيبة لا بين المسلمين فقط، بل بينهم وبين العالم أجمع على اختلاف الأشكال والألوان واللغات والديانات قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)، وقوله سبحانه: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦]، وقوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:٦٤).

ولم يكتف الإسلام في اهتمام القرآن بقضية التسامح إلى هذا الحد، بل جاءت السنة النبوية أيضاً تقاسم هذا الاهتمام، ويعلن من خلالها رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، احترامه للآخرين وتقديره لهم وتسامحه معهم والدفاع عنهم، حتى وإن كانوا على غير دينه، ومن ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من ظلم معاهدا أو انتقص حقاً أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا خصمه يوم القيامة) (رواه أبو داود). ومنه أيضاً قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»٠ رواه جابر بن عبد الله). وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من آذى ذمياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله» (رواه الطبراني في الأوسط). ومرت به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جنازة فقام لها وقام معه أصحابه، وقالوا يا رسول الله إنها جنازة يهودي، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أو ليست نفساً، إذا رأيتم الجنازة فقوموا»(رواه البخاري).

ويصل تسامح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلى أقصى حد في تطبيقاته العملية، وذلك في فتح مكة، عندما دخلها ظافراً منتصراً بعد أن أُخرج منها، فإذا به يفاجئ أعداءه بصورة من التسامح ليس لها مثيل، عندما أحكم قبضته عليهم، وقال لأهل مكة في تعبير عظيم عن قمة التسامح لا يوجد في تاريخ البشرية شبيهاً له: ما تظنون أني فاعل بكم، قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وإن من عظمة الإسلام ألا يقف بالتسامح فقط عند حالة السلم والمهادنة؛ بل يجعل من حالة الحرب مجالا خصبا لتطبيق التسامح، وذلك حتى يخفف من ويلاتها، ويقلل من آلامها وآثارها، وتمتلئ كتب السير والتاريخ ومعها كتب الفقه الإسلامي بالنماذج الطيبة التي كان يعامل من خلالها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أعداءه وأشـــد الناس عليه، كما تمتلئ بالمبادئ والقواعد والقيم التي تفيض سماحة ورحمة في معاملة ضحايا الحروب من الجرحى والمرضى والقتلى وغيرهم.

إن الإســـلام دين الفطرة، دين الحنيفية السمحة، دين التســـامح والمحبة والأخلاق العظيمة. والتسامح خلق الإسلام كدين منذ أن خَلَق الله الأرض ومن عليها، منذ أن بعث الأنبياء والرســـل، فكانت رسالة السماء تُسمّى على مر العصور، وفي زمن كل الأنبياء بالحنيفية السمحة كدليل على التســـامح والتواصل والمحبة. ثمّ جاء رســـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ، حاملاً هذه الرسالة العظيمة المتضمنة لكل معاني القيم الإنسانية والحضارية، وفي طليعة هذه القيم التسامح، وقد جسّد هذا الخُلُق في مفاهيم عمليـــة فحوّلها من مجرد قيمة إلى مفهـــوم عملي لازم حياته في جميـــع مراحلها، قبل البعثة وبعدها، في حالات الضعف كما في حالات القوة. لقد دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى إشاعة جو التسامح والسلام بين المسلمين، وبينهم وبين غيرهم من الأمـــم، واعتبر ذلك من مكارم الأخلاق، فكان في تعامله مع المسلمين متسامحاً، حتى قال الله تعالى فيه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨)، وكان مع غير المســـلمين ينطلق من هذا المبدأ العظيم ليكرّس قاعـــدة التواصـــل والتعـــارف بين الناس، ولتكون العلاقة الطيبة الأساس الذي تُبنى عليه علاقات ومصالح الأمم والشـــعوب، وحتى مـــع أعدائه الذين ناصبوه العداء كان متسامحاً إلى حد العفو عن أسراهم واللطف بهم والإحسان إليهم. فها هو أثناء عودته من الطائف، وبعد أن أدموه وأغروا به سفهاءهم وغلمانهم، وبعد أن طردوه من قريتهم، وأســـاؤوا معاملته، يأتيه ملك الجبال يقول: مُر يا محمد. فيقول رســـول الله: «لعلّ الله يخرج مـــن أصلابهم من يعبده وينصر هذا الدين». لقد كان ملك الجبال ينتظر منه إشارة ليطبق عليهم الأخشبين ويغرقهم في ظلمات الأرض فلا ينجو منهم أحد، ولكن الرحمة في قلبه وخُلُق التسامح الذي تربّى عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دفعه إلى الاعتذار من ملك الجبال، وقال قولته الشهيرة التي تنمّ عن مسؤولية عظيمة وخُلُق فاضل.

وهكذا فإن التســـامح يعد أحد الفضائل الإنسانية التي ترتقي بالنفس البشرية إلى مرتبة ســـامية تتحلى بالعفو واحترام ثقافـــة الآخر، وهو ضرورة اجتماعية لما له من أهمية بالغة في حماية النســـيج الاجتماعي، لضمان تحقيق السلم الأهلي والأمن المجتمعي، والقضاء على الخلافات والصراعات بين الأفراد والجماعات. ولقد بادرت منظمة الأمم المتحدة للتربيـــة والعلم والثقافة (اليونسكو)، لتعتمد في مؤتمرها العام في دورته الثامنة والعشرين في السادس عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) للعام ١٩٩٥م، إعلان المبادئ بشـــأن التسامح، وتتخذ السادس عشر من شـــهر نوفمبر في كل عام يوما عالمياً للتسامح؛ للتأكيد أن لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين وحرية الـــرأي والتعبير. وأن التربية يجب أن تهدف إلى تنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب، والجماعات والأفراد.

إن العالم اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعال والتعايش الإيجابي بين الناس أكثر من أي وقت مضى، نظراً لأن التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوماً بعد يوم بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والثـــورة التكنولوجية التي أزالـــت الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب.

وإننا في وطننا العربي وكأمة مســـلمة، آمنت بربها واهتدت بهدي نبيها، مطالبون أن نعمّم ثقافة التسامح والتواصل، التي تشـــكّل صمام الأمـــان لعالم مطمئن ومزدهر ومتقدّم، كما تشـــكّل الأساس المتين لعلاقات طيبة على مســـتوى الأفراد والمجتمعات، لذا من واجب الجميع العمل على نشر قيم وفضائل التســـامح حتى تصير ثقافـــة عامة، فنعيش جميعـــاً في عالم مطمئن متقدم، وفي مجتمع ينعم بالأمن والأمان.

العيد

لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه

بقلم: علاء الدين فوتنزي
عضو الرابطة القلمية الهندية

العيد كلمة محبوبة مرغوبة تعشـــقها الآذان ويحبها الجنان. العيـــد رمز الفرحة والإخاء والبذل والوفاء، العيد زائر حبيب وضيف قريب ونازل مهيب، يقول الشـــاعر الحكيم أبو الطيب المتنبي مهنئا سيف الدولة عند انسلاخ شهر رمضان:

الصّومُ والفطر والأعيادُ والعُصُر
منيرةٌ بكَ حتى الشمسُ والقمرُ

فالعيد في معناه الديني شـــكر لله على تمام العبادة، والعيد في معناه الإنســـاني يومٌ تلتقـــي فيه قوة الغني، وضعف الفقير على محبة ورحمة وعدالةٍ من وحي السماء، عُنوانُها الزكاةُ والإحســـانُ والتوسعة. أما العيد في معناه النفسي فحد فاصل بين تقييد تخضع له النفس، وتَسكُن إليه الجـــوارح، وبين انطلاق تنفتح له اللهوات، وتتنبّه له الشهوات.

اتخذ الإنسان القديم مواسم الصيد والحصاد ليحتفل بما جنى وأصاب. فلو أمعنا النظر في أصل الأعياد وجدناها ترجع تاريخيًا إلى عصور ســـابقة، وقد أخذت بعدًا دينيًا في مصر والعراق عند أولئك الوثنيين القدامى الذين كانوا يتقربون فيها إلى آلهتهم ويحتفلون بعودة هذه الآلهة من العالم السفلى. الدين هو أصل كل الأعياد في تاريخ البشر الاجتماعي، وليس هناك عيـــد في تاريخ البشر إلا ويقف خلفه الدين أو تصنعه عقيدة دينية.

في ديننا القويم يعتبر عيد الفطر جائزة من الله تعالى

لعباده، إذ يحتفل به المسلمون في اليوم الأول من شهر شوال. إنه عيد رمضان المبارك، الذي يأتي بعد أن أدى الناس فريضة من فرائض الإسلام، فجعل لهم الله عز وجل يومَ عيد يفرحون فيه، ويفعلون من السرور واللعب المباح ما يكون فيه إظهار لهذا السرور، وشكر لله عز وجل على هذه النعمة. يفرح المؤمنون لأنهم تخلصوا بالصوم من الذنوب والمعاصي التي ارتكبوها؛ ولذا جعل الله تعالى عيد الفطر ليَفرح المسلم بنعمة مغفرة الذنوب ورفعِ الدرجات وزيادة الحسنات بعد هذا الموسم من الطاعات.

وهكذا يجعل دين الإسلام سعادة أتباعه مقصدًا من مقاصده، وأولوية من أولوياته، دين يدرك صنيع الفرحة في قلوب العباد فيجعل أحب الأعمال إلى الله «سرور تدخله على مسلم»، دين يصنف الناس يوم العرض الأكبر إلى شقي وسعيد، فالفرح ودوام السرور مقصدان يسعى إليهما الإسلام، حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر من صام رمضان بفرحتين؛ «إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه». ويأتي بعد تلك المعايشة الحية لمظاهر الفرح الحق عيد المسلمين لتكتمل فرحتهم وتنتعش نفوسهم ويجدد نشاطهم، فيكبرون الله تعالى طاعةً لأمره وتعبيرًا عن فرحتهم «وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

وفي مناسبات الأعياد تجديد لحياة المسلم، ومن مظاهر ذلك ومقاصده في العيد:

• لبس الثياب الجميلة، قال محمد بن إسماعيل الأمير في كتابه «سبل السلام»: «يندب لبس أحسن الثياب والتطيب بأجود الأطياب في يوم العيد. قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العيدين أن نلبس أجود ما نجد، وأن نتطيب بأجود ما نجد». وقد ورد عن الإمام علي رضي الله عنه في كشف خصوصية العيد واختصاصه قوله: «إنما هو عيد لمن قبل الله صومه وشكر قيامه»، وهي تؤكد تحولات مهمة في معنى العيد في الإسلام.

• تكبير الناس تلك التكبيرات المأثورة، التي تهز المشاعر، وتصنع في النفس معاني القوة، وتبني في الأمة معالم الوحدة، وروي «أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان يخرج يوم الفطر فيكبّر، حتى يأتي المصلى وحتى يقضي الصلاة، فإذا قضى الصلاة قطع التكبير».

• صلاة العيد؛ وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خرج يوم الفطر فصلى ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما»، فعن أم عطية رضي الله عنها، قالت: «أَمَرَنا النبي صلى الله

عليه وسلم أن نُخرج في العيدين العواتق، وذوات الخدور، وأمر الحيض أن يعتزلن مصلى المسلمين».

• الدعاء للمسلمين والتذكير بهمومهم، فعلى كل مسلم أن يدعو لإخوانه المسلمين في كل مكان، بل يدعو للأحياء والأموات، إشعاراً بوحدة هذه الأمة وترابطها وتعاطفها وتراحمها.

• الاستمتاع بالمباحات، واستخدام الفنون الجميلة، وتجنب الفنون القبيحة؛ عن أَنَس رضي الله عنه قال: «قَدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلعَبُونَ فيهِمَا، فقال: مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟ قالُوا: كُنّا نَلْعَبُ فِيهِمَا في الْجَاهِلِيّة، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنّ الله قَدْ أَبْدَلَكُم بِهِمَا خَيْراً مِنْهُمَا: يَوْمَ الأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ». ولقد ورد أن الحبش كانوا يلعبون بالدرق والحراب في المسجد يوم العيد، والنبي صلى اللّه عليه وسلم ينظر، وعائشة رَضيَ الله عنها تنظر إليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتى ملّت ورجعت، ودخل أبو بكر في بيت رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، على عائشة، رضي اللّه عنها، وعندها جاريتان من جواري الأنصار تغنيان؛ فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان في بيت رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم؟ فقال: «دعهما يا أبا بكر، فإنه يوم عيد».

في نهاية شهر الصوم، تكون زكاة الفطر، فلئن كانت الصلاة هي العبادة الروحية التي تؤدى بالجسد، فإن الزكاة عبادة روحية أيضا تؤدى بالمال، فتُنفق على مستحقيها، ويرتبط الأغنياء بإخوانهم الفقراء بالمحبة والتعاطف.

والأصل في ذلك ما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما، حيث قال: «فرض رسول الله زكاة الفطر صاعا من تمر، أو صاعا من شعير، على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة».

وقَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَر رحمه الله: «أُضِيفَت الصَّدَقَةُ للفِطْرِ؛ لِكَونِهَا تَجِبُ بِالفِطْرِ مِن رَمَضَانَ»، إنها واحدة من عناوين الخير، في دفع الأنا عن النفس، والتقوقع حول الذات، لينطلق من قيود ذلك إلى رحاب نفع الآخرين، ليعم الخير، بين أبناء المجتمع.

وعَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ الله، صلى الله عليه وسلم، زَكَاةَ الفِطرِ طُهرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعمَةً لِلمَسَاكِينِ». وقد أنذر الله عز وجل أولئك الذين لا يؤتون الزكاة إنذارًا شديدًا، حيث قال: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» (٣٤ -٣٥ التوبة).

وأما الحكمة في تشريع الزكاة فهي:

• إن الصدقة وإنفاق المال في سبيل الله يطهران النفس من الشح والبخل، وسيطرة حب المال على مشاعر الإنسان، ويزكيانها بتوليد مشاعر المودة، والمشاركة في إقالة العثرات، ودفع حاجة المحتاجين، وأشار إلى ذلك قول الله تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا» (التوبة:١٠٣). وفيها من المصالح للفرد والمجتمع ما يعرف في موضعه، ففرض الله تعالى من الصدقات حداً أدنى ألزم العباد به، وبين مقاديره، إذ لولا التقدير لفرط المفرط ولاعتدى المعتدي.

• الزكاة تدفع أصحاب الأموال المكنوزة دفعاً إلى إخراجها لتشترك في زيادة الحركة الاقتصادية، يشير إلى ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا من ولي يتيماً له مال فليتجر فيه، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة»، وقال عمر رضي الله عنه: «ابتغوا في أموال اليتامى لا تأكلها الصدقة».

• الزكاة تسد حاجة جهات المصارف الثمانية، وبذلك تنتفي المفاسد الاجتماعية والخلقية الناشئة عن بقاء هذه الحاجات دون كفاية.

هندوس يتضامنون مع المسلمين ويرفضون التمييز

جدة: الوليد جعفر إلياس

رغم أحداث العنف الطائفي التي شـــهدتها العاصمة الهندية وعدد من المدن الأخرى أواخر فبراير الماضي، احتجاجا على تعديل قانون المواطنة، بحيث يتم الســـماح بتجنيس غير المسلمين من بنجلاديش وباكستان وأفغانستان الذين دخلوا الهند بشـــكل غير قانونـــي، إلا أن كثيرين من أتباع الديانة الهندوسية أظهروا تضامنهم مع المسلمين، وقاموا بحمايتهم من الهجمات التي شنها متطرفون تابعون لحزب بهارتيا جاناتا اليميني، كما تظاهروا معهم في الشـــوارع وحملوا لافتات تؤكـــد أن الهند دولة ديمقراطية ينبغي أن يتمتع جميع مواطنيها بحقوقهم الدستورية، بغض النظر عن أعراقهم أو ديانتهم. كذلـــك قام كثيرون من القيادات الإســـلامية بإعلان رفضهم للجوء إلى العنف، مهما كانت الأسباب، ودعوا المتظاهرين الغاضبين إلى السعي الجاد لأخذ حقوقهم بالقانون، مشيرين إلى أن الدستور الهندي يحظر أي تفرقة على أساس الديانة، وأكدوا توجههم لرفع دعوى عاجلة أمام المحكمة الدستورية العليا لإبطال القانون.

وأشار كثير من القيادات السياسية والثقافية والمجتمعية الفاعلـــة إلى أن حالـــة الازدهار والنمـــو الاقتصادي التي شهدتها الهند خلال السنوات الماضية، والتي أدت إلى تزايد معدلات النمو الاقتصادي لا ينبغي إضاعتها بسبب قضايا عنصرية، وأن الهنـــد عانت كثيرا خلال العقود الماضية من أعمال العنف الديني، وهو ما لا يجب السماح بتكراره تحت أي ظرف من الظروف.

وأشـــارت مواقع إعلامية غربية إلى أن الجديد في حالات العنف الطائفي الذي شـــهدته الهند هذه المرة هو ظهور أصوات عاقلة من شرائح المجتمع كافة ترفض هذه الأحداث وتدعـــو إلى ضبط النفس وعدم اللجـــوء إلى العنف. وقال موقع BBC البريطاني إن كثيرا من الهندوس قاموا بأعمال بطولية خلال أعمال العنف التي شـــهدتها منطقة أشوك ناجار في العاصمة دلهي، حين شـــاركوا جنبا إلى جنب مع المســـلمين في التصدي للعنف، ونقل الموقع على لسان أحد الهندوس ويدعى سوبهاش شـــارما، رفضه لجميع أنواع التمييز، ودعوته للمســـاواة، وتأكيده على ضرورة انصراف الجميع للعمل والإنتاج، بدلا عـــن التحريض على الفوضى وأعمال العنف. وقال الموقع إن شارما ركض للمساعدة بعد أن أشعل حشد من الهندوس النار في أحد المساجد، وشارك في إخماد النيران، وقال شـــارما «كان هناك حشد من آلاف الهندوس ولم يكن هناك ســـوى عدد قليل من المسلمين في المسجد. بمجرد أن اشتعلت فيه النيران، فتحت مضخة المياه في منزلي وركضـــت إلى هناك بخرطوم. على الفور انضم لي عشرات الهندوس الذين كان لهم مثل موقفي الرافض لمثل هذه الاعتداءات وتمكنا في وقت وجيز من إخماد الحريق».

ونقل الموقع عن هندي مســـلم من الحي نفسه يدعى مرتـــضى قوله، إنه أراد النجاة بحياتـــه ومغادرة المنطقة، لكن جيرانه الهندوس طلبـــوا منه عدم المغادرة، وأكدوا له تكفلهم بحمايتـــه، وقال «لقد أكدوا لنا أنهم لن يدعوا أحدا يلحق الأذى بنا. كنا طيلة السنوات الماضية جيرانا صالحين، وكانت تجمعنا علاقات طيبة».

وأشار موقع روســـيا اليوم إلى أن المسلمين والهندوس تعاونوا كذلك في التصدي لعصابـــات العنف والنهب التي سعت إلى استغلال الأحداث، وحاولت اقتحام وسرقة محلات تجاريـــة تعود ملكيتها إلى مســـلمين، مضيفا أن اثنين من الجيران أحدهما هندوسي والآخر مسلم من منطقة حديقة فيجـــاي في مدينة ناكبور، وهي واحـــدة من أكثر المناطق تضررا من العنف قاما بحشد عدد كبير من الجيران لمطاردة عصابة كانت تحرق الســـيارات وتحطم النوافذ في المنطقة المجاورة.

ذكرى الهجرة ومعانيها

بقلم: الزهراء عبد الحميد
جمهورية مصر العربية

حادث الهجرة من أهم الأحداث في مسار التاريخ، فقد غير هذا الحدث مجرى التاريخ الإنساني، فيه انطلق نور الحق يغزو الآفاق بضيائه، ودخل الناس في دين الله أفواجاً. وكانت الهجرة هي منطلق شرارة الفطرة لتحرر النفس الإنسانية من ذلها وعبوديتها وتقاليدها الخاطئة، وتجنح بها في مرسى الإنسانية والحرية والمبادئ السامية.

ونحن نتنسم ذكرى الهجرة في هذا الشهر المبارك، نقف مع بعض معانيها ودلالاتها.

معاني الهجرة وأنواعها

قد تتداخل معاني الهجرة، فإذا أثير اللفظ كان المعنى هو الانتقال من مكان إلى مكان آخر، طلباً للرزق أو خوفاً من ظلم وغير ذلك، لكن يمكن تقسيم أنواع الهجرة إلى:

- الهجرة العامة: وكانت بانتقال الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة إلى يثرب لتنطلق الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة، وتهدم بنورها ظلام الجاهلية، وتقطع بضيائها ليل الظلم البهيم. وكان هذا النوع من الهجرة واجباً على كل المسلمين حتى يقوي نواة المجتمع الإسلامي الجديد، وكانت ضرباً من ضروب الجهاد في سبيل الله، فلم يُعف إلا الضعفاء والأطفال والنساء والمرضى لعجزهم عن تحمل المشاق. وقد هاجرت نساء كثيرات مع أزواجهن وبمفردهن، وكن طلائع صدق وإيمان وتضحية. وقد تحمل الصحابة رضوان الله عليهم ضروباً من الأذى والمشقة، وكان الإيمان يتفوق على كل ذلك، وبذلك استحقوا مكافأة الله لهم على نصرة دينه ودعوته، قال الله تعالى: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم» (التوبة، ١٠٠).

وقد كانت الهجرة وسام شرف، يُنظر إلى صاحبه نظرة إجلال وتقدير، فكان يقال فلان صاحب الهجرتين، أو فلانة صاحبة الهجرتين، وذلك من فضل الهجرة وأثرها على الدعوة الإسلامية.

وهذا النوع من الهجرة قد انتهى بعد فتح مكة، فقد روي أن مجاشع بن مسعود جاء بأخيه مجالد بن مسعود إلى النبي، فقال له هذا مجالد يبايعك على الهجرة، فقال له الرسول: «لا هجرة بعد الفتح – أي بعد فتح مكة – ولكن أبايعه على الإسلام». وعن عطاء بن رباح قال زرت عائشة رضي الله عنها مع عبيد بن عمير الليثي فسألناها

عن الهجرة وكان ذلك بعد الفتح فقالت: «لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله مخافة أن يفتن عليه، وأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام فليعبد المؤمن ربه حيث شاء ولكن جهاد ونية».

الهجرة الدائمة والمستمرة

وهذا النوع من الهجرة يتفق مع الهجرة العامة في المعنى اللفظي وفحواها اللغوي، وهو الانتقال من أرض إلى أرض، من ظلم أو أذى، فالمهاجر في كلا الهجرتين يترك أرضاً تغتصب فيها الإنسانية وتمتهن فيها العقيدة، وتصبح الدعوة الإسلامية ضائعة الملامح، ضعيفة الإرادة، مذبوحة الكرامة، فالمهاجر ينأى بنفسه وعقيدته وعبادته وإيمانه إلى بلد آخر.

وهذا النوع من الهجرة باق ومستمر، فإذا عسف الظلم وفسق الحاكم وتعقب المؤمنين يريد أن يفتنهم في دينهم، ويصرفهم عن عبادة الله ويعطل شريعة الله في أرضه، ولا يقيم لحدود الله وزناً، ولم يستطع المؤمن مقاومة هذا الظلم فباب الهجرة مفتوح حيث يقيم المسلم في أمان يعبر فيه عن عقيدته، وهذا النوع من الهجرة قائم ما دام هناك ظالم ومظلوم. وقد حث الله على هذا النوع من الهجرة بقوله «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها...» (النساء، ٩٧).

ووطن المسلم حيث يقيم عقيدته، فما قيمة وطن تستذل فيه الكرامات وتستباح الحرمات، وما الداعي إلى التشبث بوطن لا يرعى كرامة العقيدة.

الهجرة المعنوية

وهي هجرة مستمرة ودائمة الاستمرار، ولكنها لا تنقل الإنسان من مكان إلى آخر ولكن يكون موطنها الإنسان، فهي هجرة بين المسلم ونفسه، وذلك في قول رسول الله: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة» رواه البخاري.

فهي هجرة نفسية تتم فوق أرض واحدة يقلع فيها المهاجر من فوق نفسية غير سوية إلى أجواء طاهرة لتصهر النفس في بوتقة الفطرة، ويتم تنقية شوائبها وغسل أدرانها ومسح هفواتها وإذلال جبروتها لتهبط مرة أخرى بنفسية سوية تحمل السمات الفطرية التي وضعها الله وأرادها فيها.

الحاجة ماسة إلى هجرة ذاتية

ما أشد احتياج البقعة التي تمتلئ بالمسلمين إلى هجرة ذاتية تتم في كل يوم، بل أصبحت ضرورة عصرية ملحة ليعاد تشكيل الهيكل الإسلامي مرة أخرى، ويعاد ترتيب بنائه ليعود كما كان، وذلك يتطلب هجرة دائمة وبشكل معنوي مكثف لتتحقق الفائدة المرجوة، كما جاء في حديث رسول الله الذي رواه جابر: أتى النبي رجل فقال يا رسول الله أي الهجرة أفضل؟ فقال: «من هجر ما كره الله عز وجل» رواه ابن ماجة. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» متفق عليه.

أي أن الهجرة أصبحت لتغيير الواقع الأليم الذي آلت إليه الأمة الإسلامية، ولن يتغير هذا الواقع إلا إذا تم تغيير النفوس، قال تعالى: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (الرعد، ١١)، فتغيير النفوس هو الأساس لتغيير المجتمع أو تعديل مساره أو رفعته.

إذن الهجرة طريق للتغيير

وما دام تغيير الكل يبدأ بتغيير الجزء، فهناك تغيير للجوارح من أجل تغيير النفس تغييراً كلياً حتى يجتمع الجزء إلى الجزء، فيصير الكل وقد اكتمل بناؤه وتوطدت أركانه. وذلك يستلزم هجرة جزئية لليدين والرجلين والعين واللسان والقلب والعقل، ثم هجرة معنوية جزئية للضمير.

وهجرة اليد بتنزيهها فلا تمتد إلى حرام، فعن ابن عباس فيما أخرجه الحافظ بن مردويه: تلوت هذه الآية

عند النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً»، فقام سعد بن أبي وقاص فقال يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به»، واليد يجب أن تهجر البطش والإيذاء وتتجه إلى المعاونة والمصافحة .

وهجرة الرجلين أن تهجر خطوات السوء لتتحول نحو السعي إلى الخير، قال تعالى: «فاستبقوا الخيرات» (البقرة، ١٤٨)، وقد روى الطبراني «إن لله عباداً اختصهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله»، فالساعي من أجل الخير يجعل أهل الخير يسعون إليه في شدته وفي كربته، وإن إدخال السرور على المسلم من الأعمال المحببة إلى الله، فيجب على المسلم أن ينزه خطواته عن السعي إلى الآثام والنأي بها أن تطأ أرض سوء، ويهاجر بها إلى دنيا الخير وعمل الخير .

وتكون هجرة العين من إدمان الرؤية لمناظر الفتنة إلى رؤية الكون، والتفكر في عظمة الخالق ورؤية الحق والخير، وفي غض البصر حفظًا للفرج من الحرام، قال تعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم» (النور، ٣٠).

واللسان له هجرة بالابتعاد عن اللغو والثرثرة الفارغة، وتمزيق الأعراض والسخرية من الناس، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً» (الأحزاب، ٧٠)، ومن صفات المسلم الحق أن يسلم الناس من لسانه ويده، بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل اللسان من أسباب النجاة، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال، قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك. رواه الترمذي. فينبغي على اللسان ألا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم، قال رسول الله: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» رواه أحمد.

وهجرة القلب الذي هو ربان سفينة الجسد، فلا ينبغي للربان أن يحيد عن الطريق السليم وينزع إلى موطن الحقد والكراهية والحسد والأثرة. فعندما يهاجر القلب من موطن الآثام إلى مواطن الخير والحب والمودة والإيثار يكون الصلاح فياضاً ويكون الخير مدراراً، لأن صلاح الجسد من صلاح القلب.

مستلزمات الهجرة

ومن مستلزمات الهجرة في عصرنا الحاضر العودة إلى الاحتكام للشريعة الغراء التي وضعها الخالق الأعظم لتحكم تصرفات المسلم، وعدم الحيدة عن الشريعة إلى الوضيعة لأن الله هو الذي خلق، وهو الذي يعلم أين الصواب.

ومن مستلزمات الهجرة أيضاً، الهجرة إلى المساجد، فأول شيء فعله رسول الله، بعد وصوله إلى (يثرب) أقام مسجداً، فمن المساجد تنطلق قوافل الإصلاح الحقيقية، فهو مدرسة التدريب التطبيقي على العبادة، ولدراسة أمور المسلمين واحتياجاتهم، ونشر التعليم، فالمسجد مدرسة إسلامية متكاملة هدفها الإعداد والإصلاح والتقويم والدفاع والتربية.

ورأس الهجرة؛ الهجرة إلى معية الله والاعتماد عليه في كل الأمور، ومن كان مع الله في الرخاء كان الله معه في الرخاء، وكان معه أكثر في الشدة.

إن حياتنا اليومية لو تأملناها نجدها دروباً من الهجرة، فالصلاة هجرة للدنيا وطرحها خلف ظهر المصلي ومجاهدة النفس لإخضاعها لعمل الخير، هجرة إلى الأحسن والأسمى والسعي إلى طلب الرزق، وركوب المشاق والصعاب هجرة من الكسل إلى العمل، ومن الخمول والدعة إلى البذل وكسب العيش الحلال.

فاللهم اجعل عامنا الهجري الجديد هجرة إلى ما تحب وترضى وهجرة إلى صلاحنا يا رب العالمين.

جماليات العمارة الإسلامية

رسالة حضارية

بقلم: الزبير مهداد
المغرب

استطاعت الفلسفات القديمة أن تصل إلى قناعة، بأن (الحق والخير والجمال) هي القيم الكبرى في الوجود، وتحت مظلتها تندرج القيم الإنسانية جميعا. وإذا كان من العسير تعريف الجمال، فإنه من السهل أن نصف شيئا ما بالجمال، لأن مفهوم الجمال يستشعره الجميع ويتعاملون معه، فهو إحساس يتوقف على ما يشعر به الإنسان تجاه هذا الشيء أو ذاك، فهو يقوم بغيره، ويتجسد في الأشياء والظواهر الطبيعية، كما يظهر في الأفعال والتصرفات، فهو موجود في مجالات معنوية ومادية، وإحساس كل واحد بالجمال يكون طبقا لتقديره له ولقوة تأثيره في نفسه، وهذا التقدير يرتبط حتما بالثقافة والأطر المرجعية التي تحدد سلوك الأفراد.

وقد لعب الإسلام دورا هاما في رسم معالم ثقافة المسلمين، كما أطر تصورهم الشامل للألوهية والعبودية، والحياة والكون والإنسان. وشمولية الإسلام هي التي تخلق لدى المسلم نظاما عاما متناسقا يتصور على ضوئه ما سبق. وبفضل ذلك يحدد مفاهيم الخير، والواجب والحلال، والحرام، والجمال والقبح، وغير ذلك من المفاهيم التي يسلك وفق ضوابطها وتحدد تعامله مع محيطه، وبفضل ذلك أيضا أنتج حضارة كبرى، ذات معالم ومميزات أصيلة، استظلت بأفيائها الإنسانية قرونا عديدة، وانتفعت بمنتجها العمراني والفكري، والاقتصادي، والصناعي والزراعي وغيره.

جماليات العمارة الإسلامية

يرى المفكر «جوستاف لوبون» في كتابه (الحضارة العربية) بأن مجرد نظرة على أثر من

آثـــار الحضارة العربية، كقصر أو مســـجد، أو محبرة أو خنجر أو غلاف قـــرآن، يؤكد أن هذه الأعمال الفنية تحمـــل مميزات تدل على هويتها، وتؤكد أصالة الفن الإسلامي.

فالعمارة الإســـلامية، إحـــدى أهم المجالات التي جسدت الرؤية الإســـلامية للفن والجمال. تزاوج فيها البناء بالزخـــارف، وارتبط أحدهما بالآخر في تناغم وتكامل رائعين بحيث يستحيل الفصل بينهما. ما أكســـب الحضارة الإسلامية طابعا خاصا يميزها عن غيرها، ويضعها في قمة الحضارات الإنسانية، لأن هذا العمل الفني يرجع إلى جودة الذوق والتنويـــع والدقة، ولا يزال أثر هذا الفن عظيما في عدد من البناءات، التي كانت العناصر الجمالية تكتـــسي فيها أهمية قصوى، فهي تكســـو جدران الصحن والأروقة وقاعات التدريس والصلاة بأكملها، وتخلف الأثر الممتع الآسر في نفوس المشاهدين.

الجمال في العمارة الإســـلامية هو الإحساس الممتع الذي تخلقه في النفس مشـــاهدة عناصر البناء التي تتفاعل في نســـيج لحن جامد، نتيجة الانســـجام بين فهـــم ومخيلة الإنســـان الذي يشاهدها. لذلك ظلت العمارة الإسلامية على طول الزمان شاهدا على إبداع العصر وتاريخا للمرحلة التي قام فيها البناء.

ولا يقتصر فن العمارة الإســـلامية على إقامة التـــوازن بين الكتلة والفراغ، بـــل يبتكر للفراغ قيمة من خلال ثلاثة حرف فنية، وهي الأشرطة الكتابية، وأعمال النقش والنحت، وأعمال التركيب. فالزخارف الهندسية والنباتية والأشرطة الكتابية وقطع الفسيفساء المركبة، تمتزج في تناغم فريد، كان هذا الفن أول من أدرك أن الحركة تنبع من داخـــل العمل الفني تجاه الفـــراغ المحيط به في

قوة، فهناك زليج (فسيفساء) يتزاوج مع الجبس المنقـــوش، ويتحلى بالأشرطـــة الكتابية ويتكلل بالخشب المنقوش.

يســـتخدم الفنان الحرفي في هذه الهندســـة وســـائل بســـيطة وهما فرجار ومسطرة، لكن يســـتعين بذكائه الوقاد، حتى يبتكر تشكيلات عديدة، فانطلاقا من مجرد دائرة بســـيطة كيفما كان محيطها، يمكنه أن يســـتخرج أي شـــكل مضلع منتظم، بتقســـيم محيط الدائرة إلى عدد من القطاعات المســـتقيمة والمتعامدة، ويوصل النقاط بالخطوط المستقيمة، ومن هذه المضلعات يمكن تكوين مركبات نجمية، وبتكرار المضلعات وتنويعها يســـتطيع هذا الفنان أن يشكل أنماطا هندسية يســـودها التناسب والانسجام، متبعا في ذلك منهجا هندســـيا دقيقا يتيح له مجالا واسعا للإبداع، ورغم خضوعه لنظـــام موحد وصارم، فإن فرص الابتكار تكمن في حرية اختيار الوحدة الأساسية للتشكيل واختيار التنويعات، يستكشف الفراغ ويســـتخرج إمكاناته اللامحدودة، راحلا بخياله في الفراغ الرحب.

وعمومـــا تشـــترك الزخارف الفسيفســـائية والنقوش الجبســـية في إبراز العناصر الأساسية الأربعة للفن الإســـلامي وهي النسقية والرياضية والتكرار والأسلوبية:

النســـقية: وهي عبارة عن هندسية سيمترية أو توازن في علاقات الجزئيات والوحدات المكونة للشـــكل، فتعطي للحركة البصريـــة ثم الذهنية صورة منتظمة يســـهل تخيلها إذا ما امتد الشكل عبر الفراغ.

الرياضية: علاقات الأشكال تقوم على التساوي أو التضاد أو التـــوازي، وينتج عن هذا أن توزيع الألـــوان والوحدات الأصغر فالأصغر في الشـــكل العام يأخذ نمطا رياضيا لا يختل إلى ما لا نهاية.

التكـــرار: النتيجة العملية لاجتماع النســـقية والرياضية في شـــكل ما، إذ يترتب على اجتماعهما ليس فقط تكرار الوحـــدات الجزئية، بل وتكرار صورة الفراغ الناتج عن تجـــاوز هذه الوحدات وتكرار الحركة الناشـــئة عن تماثـــل الوحدات والفراغات صعودا وهبوطا يمنة ويسرة.

الأسلوبية: تحويل العناصر الطبيعية وإدماجها في الأشـــكال الذهنية الهندســـية مـــن مربعات ومخمســـات وغيرها، ودوائر وخطوط متشابكة وتجريد الأشـــكال الطبيعية حتى تصبح الزهرة مجرد دلالة ذهنية تمثل جزءا من الحركة الذهنية العامة في الشـــكل. (حمدون، محمد، الأســـس الجمالية للفنون الإســـلامية، المنهـــل، رمضان ١٤٠٤هـ).

القيمة الجمالية والوظيفية للفنون الزخرفية

والفنـــون الزخرفية الإســـلامية تحرص على تحقيق هـــذه الغاية بوعي ســـليم وإدراك ذكي وتخطيـــط محكـــم، فالخامات المســـتخدمة في الزخارف من نفس الخامـــات الداخلة في البناء، ويتـــم التأليف بينها في الزخرفـــة بطريقة ذكية للحصـــول على قيمـــة جمالية تثري التشـــكيل المعماري بالفسيفســـاء الملونة والجبس المنقوش والأشرطة الكتابية والخشب المنحوت، مما يعكس علاقة تبادلية لعدة تأثـــيرات جمالية لا يمكن أن تتحقق باستخدام خامة واحدة؛ كما يضمن ذلك تحقيق تنوع لوني من خلال النقوش الكتابية على الزليج بلون أســـود أو أخضر على أرضية بيضاء، وهذا التباين اللوني يشـــد النظر ويجذب الانتباه،

وهنـــاك أيضا إلى جانب ذلك نقـــوش كتابية على الجص أو الخشـــب ويتميز النقش ببروزه وليس بلونه، إلى جانب التنوع الخطي الذي يتحقق من خلال النقوش الكتابيـــة بالخط المغربي، وأخرى المكتوبة بخط كوفي وثالثة مكتوبة بخط قريب من خط الثلث.

كما أن توزيع الزخارف والنقوش يعيد تقسيم العلاقـــات بين الكتل التي يتألـــف منها المعمار، فالأشرطة الكتابية على المســـاحات المعمارية تبث فيها قدرا مـــن الحيوية والحركـــة، وذلك وفق حساب دقيق يكسر حدة ضخامة المبنى وارتفاعه الشاهق.

إضافة لما ذكر، فإن هذه الزخارف والنقوش والخطوط تخلق في الكتل المعمارية الجامدة نوعا مـــن الحركة الداخلية، حيث تدفع عين المشـــاهد إلى التنقل دون ملـــل أو كلل مع الشريط الكتابي من اليمين إلى اليســـار حيث اتجاه الخط العربي، كما تنتقل العين على التركيبات البسيطة والمعقدة للشريط وتشـــكيلات النقط والإعجام وغيرها من العنـــاصر المالئة في حركة مســـتمرة ذاتية لأعلى وأســـفل حتى نهاية الشريط؛ تثير في المشـــاهد أحاســـيس تؤدي إلى الراحة واللطـــف والنظام والانسجام والتوافق أي الســـكينة، وهذه الإثارة هي حركة، تحرك فينا هذه المشاعر، وهذه الحركة داخلية وليســـت مكانية، وكأننا في هذه الحركة ننتقل رويدا رويدا وبواسطة ما نشاهد من حالتنا الراهنة إلى حالة الســـكينة؛ إنهـــا تقود إلى نوع متماثل من الحركـــة يبدأ فيها المرء بالتقاء بعض حواســـه بوحدة فنية تركيبية تآلف في الغالب مع وحدات أخـــرى في أي اتجاه ممكن، وفي كل اتجاه ممكن، وهـــذه الحركة هي ذهنية تقودنا إلى عالم المطلق والمجرد.

قد تختلف اســـتجابات النـــاس نحو الفنون الجميلة ومواقفهم منها بحســـب التنشـــئة التي خضعوا لها، كمـــا قد يتفاوت الناس في تفضيلهم لبعض الألوان أو الأشـــكال أو الإيقاعات، إلا أن المؤكد هو أن جماليات البيئة عنصر هام في حياتنا، فحالتنا المزاجية تتأثر بطبيعة المكان المحيط بنا، والنقوش والزخارف التي يحلى بها المكان تساعدنا على الاستغراق في حالات خاصة من التخيل الممتع، وكلما كانت بيئتنا جميلة كان تأثيرها في تفكيرنا ووجداننا حســـنا وإيجابيا. (عبدالحميد شاكر، التفضيل الجمالي، سلسلة عالم المعرفة).

فالمشربيـــة عمـــل متميز قوامـــه الوحدات الهندسية، وقد شكلتها الفروخ المخروطة على هيئة النبات أو الحروف الكتابية، أما الفراغات الناتجة بين البرامق فتقوم بدور مشـــابه للفراغات الملونة التي تحتويها لوحات الزجاج المعشق، فهي تتيح للضوء أن يتسلل عبرها فيكشف المنظر الخارجي لمن بالداخل بطريقة غاية في الإبداع. كل ذلك يخلق جو السكينة والشاعرية الساحرة ويهيئ لسبحات في عالم الروح، يستمتع الجالس بالمظهر الجمالي، وهو ينعكس على تنـــوع الملامس وثراء الدرجات الضوئيـــة المختلفة التي تتآلـــف فيما بينها على السطح المنقول، فكونت انسجاما عنصراه الضوء والظل مما يستحوذ على مخيلة الرائي ووجدانه.

وصف أندريه باكار هـــذا الباب فقال: «عند النظر إليـــه من الداخل يبـــدو وكأنه ينحت من الضوء أشكالا ويخضعه لهيئة الزخرفة الهندسية، كما يحجب الضوء الســـاطع خارج المسجد، فلا يدخل منه إلا بصيص خفيف يدفع إلى الاعتكاف والتأمل، وإذا نظرنـــا إلى الباب من الخارج رأينا أنه يقف حائلا بين ضجيج الحياة وهدوء المسجد، فكأنه ساتر ملون يحفظ سر ما بداخل المسجد».

(عطية، محمد، القيمة الجمالية للمشربية، مجلة آفاق عربية).

هذه الزخارف تنشـــئ فضاء تسكنه الروح، وتخلق جوا شـــاعريا ساحرا تســـبح فيه الروح في عالم من الأطياف والألـــوان البهيجة. وهو ما يشـــير إليه ابن القيم، الذي أكد أن الجمال يعرف بطبيعة آثاره على المتلقي، حســـا أو إدراكا، فأما المحسوســـة فهي ما نستشعر وجودها بحواسنا، في زينة وحســـن ظاهر خص الله به بعض الخلق والصور عن بعض. وهي من كمال الخلق والزيادة فيه. وكأنه يشير إلى أن الجمال المقصود والحقيقي ليس جمال الظاهر، فنحـــن نختلف في تقديره، وهو زيادة في كمال الخلق، وأما الجمال الحقيقي المرغوب في ذاته فهـــو جمال الباطن، هنا هو كنه الإنسان؛ ضميره، مشـــاعره، وأخلاقه، فكلما كان الباطن أو السريرة حســـنة جميلة، كان ما يدل عليها من أقوال وأفعال مستحسنة جميلة، ولذلك كان هذا الجمال محبوبا لذاته. (انظر كتابه روضة المحبين).

تتأســـس هذه الفنون الجميلـــة على المعاني والقيم الدينية، وتحرص على ربط الفن بالعقيدة، هذا الفن الذي يعتبر الخط وفنون الكتابة أساسه الأول، وتضمن النصوص المنقوشـــة على الجدران آيات قرآنيـــة كريمة وعبارات الدعـــاء والأبيات الشـــعرية التي تخاطب الوجدان وترقق المشاعر بغية التأثير في السلوك والارتقاء بالروح والجسد في تناغم وتكامل، وهذا أحد مبادئ التربية الإسلامية المهمة.

على سبيل الختم

حـــرص الفنان المســـلم على توخـــي الإتقان والفائدة وتحقيق النفع المادي المقرون مع المتعة

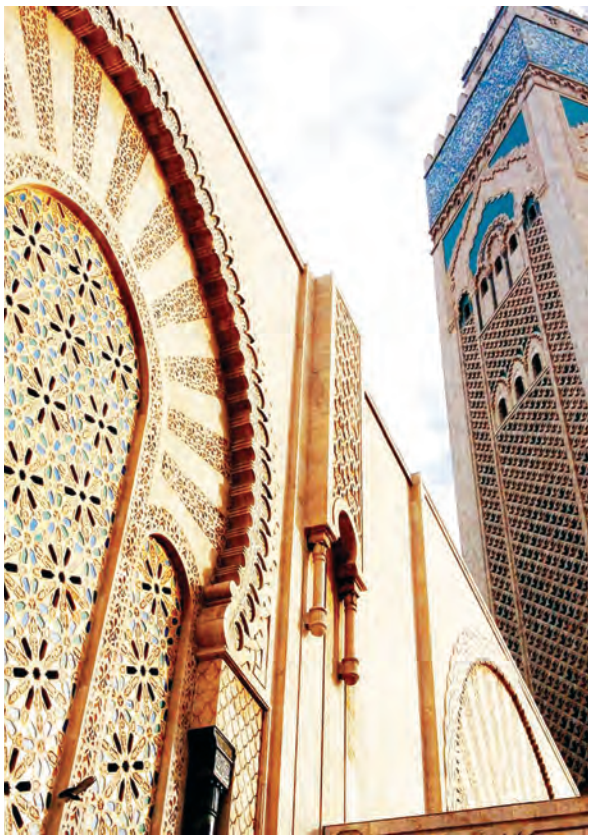

الروحية، حيث تتزاوج صلابة البناء ومتانة المواد مع جمالية الزخارف، وتكتمل في تناغم رائع على واجهات الأبواب وفي صحونها ومحاريبها وقبابها، لتشـــكل لوحات جميلة قمة في الإبداع والحيوية، ظلت شاهدة على قوة الإنجاز ورقة الذوق.

الجانـــب الزخرفي أبرز ســـمات فـــن المعمار الإســـلامي، بمكوناته المتعـــددة وأهمها الجبس والزليج والخشـــب، وفي الزليج بالخصوص يبدو جمال الزخـــرف طاغيا على العنـــاصر الأخرى. إن إنجاز بلاطة الزليج تتأســـس على حســـاب دقيق لأبعاد الفضاء المراد العمل فيه، ودراســـة علمية تفصيلية للحجم والكتلة والموقع والإضاءة والوظيفـــة وغيرها، لهذا تحقـــق اللوحة المنجزة تطبيقا مرهفا للقواعد الحسابية، المراعية لشروط الجمال والوظيفة والمشاعر الإنسانية.

اليوم العالمي للعمال

وللإسلام قصب السبق في تشريعات حماية العمَّال

بقلم: د. محمد منصور الهدوي
جمهورية الهند

يحتفل العالـــم في الأول من مايـــو باليوم العالمي للعمال الذي بدأ الاحتفال به عام ١٨٨٢، وتبادر دول العالم لتقدير العمل والجهد المبذول لكي تســـير عجلة الإنتاج. وقد سبق الإســـلام في مبادئ تشريعه الشرق والغرب في ســـنّه حقوقًا للخـــدم والعمال تكفل حياة كريمة لهم، هذه التشريعات سمت على النظم الحديثة التي حققت مكاسب كبيرة للعمال، ولم تشهد حضارة عدلاً في إنصاف حقوق العبـــاد مثلما قدمته ووضعت ضوابطه الشريعة الإســـلامية التي تحض على إعطاء الأجير حقه قبل أن يجف عرقه.

الخلفية التاريخية للاحتفال بعيد العمال

لعل جميع الناس يستوعبون المعنى الضمني لعيد العمال، إلا أن هناك الكثـــير لا يعرفون المعنى الحرفي لكلمة عيد العمـــال، حيث إن عيد العمـــال هو العيد العالمي الذي يحتفل بـــه العالم أجمع بالعمال، ويعود تاريخ اســـتهلال هذا العيد تحديدًا إلى الإضراب الذي

قام به عمال الطباعة في عـــام ١٨٨٢ في كندا، وبعده تم تحويل هذا اليوم من يوم للإضرابات والمســـيرات إلى يـــوم للاحتفال بالعمال، الأمر الذي دفع الجميع إلى ضرورة تخصيص هذا اليوم للاحتفال بذكرى الحدث، وتهنئة العمال كل عام على مـــا قاموا به من إنجازات طوال السنة ساهمت في الرقي بالمجتمعات. ويأتي هذا الاحتفال نظرًا للدور البارز لهم في تمهيد الطرق التي نسير عليها وتحقيق الأمن والأمان من خلال تخصيص طرق آمنة للســـير عليها، إضافة إلى الجزء الكبير الذي يقومون به في مجالي الصناعة والتجارة.

القرن التاســـع عشر هو بدايـــة الاحتفالات بعيد العمال في كل من أمريكا وكندا وأســـتراليا، حيث بدأت في شيكاغو بعد إضرابات العمال، حيث كان ذلك دفاعًا عن حقوق العمال في تقليل ســـاعات العمل إلى ثماني ساعات، وفي آســـيا يتم الاحتفال بعيد العمال في اليوم الأول من مايو من كل عام، أما في أفريقيا فيتم الاحتفال بعيد العمال في بعض الدول مثـــل مصر والجزائر في اليوم الأول من مايو مـــن كل عام، ويعتبر عيد العمال يوم عطلة رسمية، إلا أن هناك بعض الدول لا تعترف به لأسباب خاصة بكل دولة على حدة، ولا يتم اعتباره يوم عطلة رسمية، ويتم فيه العمل بشكل طبيعي مثله مثل باقي الأيام.

مكانة العمل في الإسلام والمجتمع

العامل يعتبر خـــط الدفـــاع الأول والأخير في كل المجتمعـــات لمواجهة كل المخاطر التـــي يتعرض لها المجتمع بسبب الأوضاع الاقتصادية، والتقليل من روافد آفات المجتمعات مثل الفقر والجهل والتخلف، وتعتبر القوى البشرية العاملة هـــي التي تحدد مكانة الدولة بين الدول، ولا شـــك أن العمل هـــو الجهد الذي يبذله الإنسان من أجل إنتاج سلعة، أو تقديم خدمة، والعمل عنصر رئيس من عنـــاصر الإنتاج، وكلما تطوّر الإنتاج زاد ازدهار الدولة وتقدمها، فتقديرًا من المجتمع الدولي لجهود العامل بمختلف القطاعات الإنتاجية تم الاتفاق عالميًا على تحديد يوم ١/٥ من كل عام يومًا للاحتفال بهذه المناسبة، تكريمًا له واعترافًا بجميله.

وبالنسبة للإســـلام فقد حث الدين الإسلامي على العمل وجعله بمنزلة العبادة، إذ يؤجر العامل المخلص بعمله والأمين عليه، لقد نوّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرورة العمل وأهمية العامل في الإسلام، مُشبهًا الأيدي العاملة بأنها تلك الأيدي التي يحبها الله سبحانه وتعالى، خاصّة أن جميع الأنبياء والرسل كانوا يعملون بأيديهم من خلال بعض الحـــرف اليدوية مثل رعاية الغنم والحدادة والنجارة.

فالعمل والخدمة في الإســـلام مهـــن لا تزرى على أصحابها ولا تحقر من شأنهم، فحياة الناس في المجتمع الإسلامي قائمة على خدمة الناس وتسخيرهم لبعضهم بعضا، لاختلاف قدرات النـــاس ومواهبهم، وأعمالهم ومهنهم، فكل ميسر لما خلق له، وقد اســـتنفر الرسول الكريم المســـلمين للاحتراف والكدح والسعي في طلب الرزق، وحثهم على العمل لعمارة الأرض، كما بين عليه الصلاة والسلام أن المســـلم إذا اجتهد في العمل ليعيل نفسه وأهله، وليتعفف عما في أيدي الناس كان له أجر المجاهد في ســـبيل الله (مرّ على النبـــي صلى الله عليه وســـلم رجل، فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه، وقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن كان خرج يسعى عن ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان. رواه الطبراني.

أهم حقوق الخدم والعمال في المنهج النبوي حسن المعاملة

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فقد عامل خادمه أنس رضي الله عنه معاملة حســـنة،

فلم تصدر منه كلمة واحدة لخادمه تجرح شـــعوره أو تخدش كرامته، أو تدل عـــلى تضجر منه، ولم يقم بتوبيخـــه أو تأنيبه، عن أنس قال: (خدمت النبي صلى الله عليه وســـلم عشر ســـنين، فما قال لي أف ولا لم صنعت؟ ولا ألا صنعت) رواه مسلم.

وكم ندرك الخطأ الشـــائع لدى كثير من الناس في احتقار الخـــدم والعمال والإســـاءة إليهم والغلظة في معاملتهم والقســـوة عليهم في أعمالهم، فإن هذا يتنافى مع مبادئ الإســـلام وأخلاقه، ولا يجوز أن نجري وراء المقولة: «إن خلق العمـــال والخدم اليوم لا يصلح لهم إلا الإســـاءة والغلظة والقســـوة»، لأن في ذلك مخالفة لتعاليم الإسلام، فمن الخير أن نتخذ الوسائل والأساليب لتعليمهم وتدريبهم ورفع مستواهم وتأديبهم بما يفيد أنفسهم ومجتمعهم.

التكليف على قدر الطاقة

فمن حـــق الخادم أو العامل أن يكلف بالأعمال على قدر طاقته وضمن ساعات العمل، التي تقررها قوانين العمل، إذ لا يكلف الله نفســـا إلا وســـعها، فلا يجوز لصاحب مصنع أو ورشة أو حرفة أن يكلف خادما أو أجيرا أو عاملا بما يشـــق عليه، ويجب أن تكون طاقة العمل ملائمة لعدد العاملين لحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم (ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فإن كلفتموهم فأعينوهم) رواه البخاري ومسلم.

أي لا تكلفوهـــم أي عمل تصير قدرتهم فيه قاصرة ومغلوبة، فيعجزوا عن القيام به لعظمه وصعوبته، فإن كان العمل فوق قدرة العمال أو الخدم فيجب إعانتهم بآخرين، أو أعينوهم على تعويض ذلك بأجر إضافي، فلا يجوز لأرباب العمل استغلال العمال الاستغلال السيئ.

تأمين الحياة الكريمة بجميع وسائلها

فالإسلام يعطي العامل حق تأمين نفقاته بما يكفي معيشته من تأمين معاش وتأمين صحي وتأمين تعليمي له ولأفراد عائلته حتى يقوم بعمله بأمان واســـتقرار، ويتضامن بذلك رب العمل والدولة، وذلك بسن القوانين التي تضمن له حق كفايته وحمايته وأسرته من المرض أو الشيخوخة أو الوفاة، وفي هذا المجال يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من ولي لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا، أو ليست له زوجة فليتزوج، أو ليس له دابة فليتخذ دابة) رواه البخاري، ولقوله صلى الله عليه وســـلم: (من ترك مالا فلورثته، ومن ترك ضياعا «أي ورثة» أو كلاً «أي ذريـــة ضعفاء» فليأتني فأنا مولاه) رواه البخاري.

ففي هذا الحديث جعل رســـول الله صلى الله عليه وســـلم لذرية العامل في مال الدولة ضمانا لهم، وبناء عليه فإن كل ما يصدره ولي الأمر من أنظمة لا تخالف الشرع وترفع الظلم على العمال وتضمن حقوقهم يجب التقيد به وتنفيذه شرعا لأنه يدخل في تلك المبادئ التي كفلها الإسلام للعمال.

حق الأخوة الإسلامية

فالعامل أخ لرب العمل، ورباط الأخوة الإسلامية من أقوى الروابط لأنـــه مبني على العقيدة التي تجمع بين الخدم والمخدومين والعمال وأصحاب العمل، وتقتضي الأخوة أن يكـــون المطعم والملبس واحدا على ســـبيل المواساة لا المساواة من كل جهة، فإنه ينبغي لرب العمل أن يقدم لخدمـــه أو عماله أو أجرائه طعاما من جنس

طعامه مصداقا لحديث الرســـول صلى الله عليه وسلم (أخوانكم خولكم جعلهـــم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس) رواه البخاري ومسلم، أي من جنس ما يأكل وجنس ما يشرب.

حق الوفاء بالأجر

لكل عمـــل أجر، والأجر على العمـــل والخدمة حق أوجبه الإســـلام بالمعروف، والمبدأ العام في الإسلام أن الجزاء على قدر العمل، فإذا أدى الأجير عمله اســـتحق أجره وافيا، فإذا قـــصر رب العمل في ذلك فعلى الدولة أن تحميه من العدوان عليه أو الإجحاف به، لأن هذا من وظيفتها، وقد حرّض الرسول الكريم على إعطاء الأجير أجره فقال: (أعطـــوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) رواه ابن ماجه، وقال: (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة) وذكر منهم (ورجل استأجر أجيرا فلم يوفه أجره).

من واجبات العمال على أصحاب العمل

ولم يقتصر الإســـلام على ذكر مسؤولية أصحاب العمل فقط، بل قدّم أخلاقيات وسلوكا يجب على العمال التشبث بهما نحو صاحب العمل أيضا، لأن العلاقة بين العمال وأصحاب العمل قائمة على أساس العدل، فكل من الطرفين ملزم بأخلاقيات العمل، فأخلاقيات العمل توجب على العامل الإخلاص والإحسان وعدم استغلال الوقت والمواد في غير مصلحـــة العمل، كما توجب على أصحاب الأعمال مقابلة الإحســـان بالإحسان ويحرم عليهم البخس أو الاستغلال، أضيف نبذا منها :

١ـ العلم بواجبات ومتطلبات العمل: وذلك حتى لا يخالفها أو يقصّر في أدائها.

٢ ـ الشعور بالمسؤولية تجاه العمل: فلا يهمل عمله ولا يقصر ولا يغش...فمن طرق الكسب الحلال كما يذكر العلماء تجارة مشروعة بصدق أو عمل مشروع بإتقان أو عطية مشروعة بحق.

٣ ـ الأمانة والإخلاص: فالغش خيانة وليس من صفات المؤمنين، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من غشّ فليس منا) رواه مسلم، وأخذ الرشوة، وتضييع الأوقات كل ذلك خيانة، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» (٢٨) الأنفال.

٤ـ الإتقان والإجادة: لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) رواه الترمذي.

٥ـ الطاعة: فيجب على العامل أن يطيع رؤساءه في العمل في غير معصية، وأن يلتزم بقوانين العمل.

٦ـ التعفّف من استغلال الوظيفة أو النفوذ للنفع الشخصي أو لنفع الغير: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من استعملناه على عمل، فرزقناه رزقا فما أخذه بعد ذلك فهو غلول) رواه أبو داود وصححه الترمذي.

صفحة رائعة في البعد عن ظلم العمال

في أيام الجاهلية ظلم رجل، وبخس حقه، وماطله غريمه، فشكا إلى بعض قبائل قريش والأحلاف فلم يلتفتوا إليه، وهو رجل غريب قدم من زبيد إلى مكة، فوقف عند الكعبة، واستصرخ الناس، واستنصرهم، وأخذ ينشد أبياتا منها:

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ ❋
بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدارِ والنَّفَرِ

فأثار هذا الشعر نخوة ذوي المروءة والإنسانية من قريش، وأولهم الزبير بن عبد المطلب عم الرسول - صلى الله عليه وسلم-، فنادى زعماء قريش فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان، وذلك قبل بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد حضره معهم وهو غلام، فنصروا ذلك المظلوم الغريب، فتعاهدوا فيما بينهم أن لا يروا مظلوما إلا نصروه، ولا مسلوبَ حَقٍّ إلا أعادوا إليه حقه.

إنه موقف إنساني عادل، وكرم أخلاقي شامخ، وشيمة عربية أصيلة؛ ولقد غرس هذا الموقف النبيل في وجدان النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكان يشيد به، ويثني عليه، بل يقول: «لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان ما أحبّ أن لي به حمر النَّعَم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت» (أخرجه البيهقي).

إن الظلم والجوْرَ والحيف والقهر والبخس والمطل والقسوة والكبر؛ صفات ماحقة، وأخلاق مهلكة، تورث العقوبة، وتستمطر الغضب، وتتلف الأعصاب، وتمض الأفئدة، وتمزق المجتمع، وتخل بالأمن، وتحبب الانتقام، وتنافي الإنسانية، وتفني المروءة؛ ثم إلى جهنم، وبئس المصير! إنَّ دينَ الإسلام دينُ العدلِ والفضل، والإحسانِ والمساواة، يرتقي بالشعوب، ويهذِّب القلوب، ويحفظ الكرامة؛ وإنه - قبل أن تكون هنالك نقابات للعمال، وقبل أن تتفجر الثورات لأجلهم - كان الإسلام يهتف بحقوق العمال، ويأمر بالعدل، ويحذر من الظلم، ويكسر أغلال العبودية والذل، إلا لله وحده، جاء الإسلام ليقول: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ جاء الإسلام ليقول: إن المتكبرين أحقر الناس وأذلهم يوم القيامة، إذ يغدون كأمثال الذر يطؤهم الناس، ثم لا يجدون ريح الجنة.

رغم وجود نقابات للدفاع عن حقوق العمّال، ما زال أغلب العمّال في أغلب بلاد الغرب والشرق يعانون من ظلم القوانين المطبّقة عليهم، وما زالت الإضرابات

تستخدم هنا وهناك في مناطق عدّة في العالم، وما زال الرأسماليون ينهبون أجرة العامل بطرق قانونيّة منظّمة عن طريق خفض قيمة النقد وزيادة أسعار الموّاد في الأسواق، ولا يحلّ هذه المشاكل جميعها -أيها المسلمون - إلا نظام واحد هو نظام ربّ العزّة جلّ جلاله في ظلّ دولة ترعى وتطبّق هذا النّظام.

فالإسلام ليس كما يظنّ البعض من النّاس، أنه بعض العبادات كالصّلاة والصّيام والحجّ. إنما الإسلام هو نظام كامل متكامل، قال تعالى: «ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكلّ شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين»، ولكن للأسف، فإن أغلب المسلمين لا يدركون هذا الأمر بأنه نظام عادل فريد في الاقتصاد وفي السياسة وفي الحكم وفي الاجتماع وفي التعليم وفي كلّ شيء، وقد طبّق المسلمون هذا النظّام طيلة حياتهم في دولة وسلطان، حتّى صار الرّاكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخشى إلا الله والذّئب على غنمه، وحتّى بُحِث عمّن يأخذ المال في عهد الخلفاء المسلمين، فلم يجدوا أحدا من فقراء، ونصب القضاء فكان قلّة من يأتون للمحاكمات بسبب العدل والتقوى.

لنرتقي بإنتاج
كتب الأطفال
باللغة العربية

بقلم: عبد الحميد محمد الراوي
جمهورية مصر العربية

تظل الكتب المنبع الدائـــم للمعرفة، ولا يدرك أهميتها في مجال التهذيب والتثقيف ســـوى الشعوب والمجتمعات التي تعيش حياة قوامها العلم، والتي تتصل حياتها اتصالاً وثيقاً بالكتاب وبالوسائل السمعية والبصرية التي تعين على كسب المعرفة.

ومع التقدم الواسع للوسائل السمعية والبصرية ووسائل الاتصال، ظل الكتاب يعد أهم مصـــادر المعرفة، لأنه يمتاز بمرونة لا تتوفر في تلك الوســـائل كلها. وإذا كانت الكتب من أهم الأدوات التي تعين الكبار على خدمة أنفسهم ومجتمعهم، فهي لا تقل أهمية عند الأطفال، إذا أريد لهم أن يشبُّوا قادرين على فهم أنفسهم، ومجتمعهم والعالم الذي يعيشون فيه.

إن الطفل مقبل على الحياة، وهو يبدأ حياته بأقل عدة، لذا فهو يواجه عملية ذات شقين؛ التعرف على العالم الذي ينتمي إليه، والتعرف إلى نفســـه وعلاقته بهذا العالم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تنمية قدرته على التعلم واستيعاب الحقائق والأفكار والتزود بالمعلومات في مختلف العلوم والفنون. وإذا كانت الكتب في الماضي تتمتـــع بأهمية خاصة، فإن أهميتها في العصر الحـــاضر مع ما صاحبه من تقدم اجتماعي عظيم واختراعات جبارة تصبح أشد ضرورة.

إن مهمة المســـؤولين عن تنشـــئة أبناء الجيل وبناته لا تنحصر في تعليم الأطفال القراءة فحســـب، بل تمتد إلى إثارة اهتمامهم وحثهم على المطالعة، وغرس عادة القراءة عندهم منذ الصغر. لذلك كان لزاماً علينا بذل الجهود للعناية بكتب الأطفال كماً وكيفاً، وهذه العناية تفرضها حقيقة واقعة مؤلمة في بلادنا، وهي أن معظم أبنائنا وبناتنا لا يحبون القراءة، ولا يميلون إلى التزود من الخبرات.

وهذا أمر مؤســـف يرجع إلى قلـــة العناية بغرس عادة المطالعة عندهم منذ الصغر، وإلى تركيز الاهتمام على عملية التعليم في المـــدارس وفق المناهج التي تـــدور حول الكتاب المدرسي الذي يعنى بشحن الذهن بالمعلومات، بهدف النجاح في الامتحانات. أما عملية التثقيـــف التي تتميز بأن لها أكبر الأثر في تكوين شخصية التلميذ وســـلوكه واتجاهاته فقلما تحظى بما تســـتحقه من الاهتمام، إذ إنها تعد لدى الكثيرين من المعلمين والمسؤولين والآباء عملاً ثانوياً، بل مضيعة للوقت والجهد.

يضاف إلى هذا، قلة عناية البيت العربي بالمطالعة، فقلما نرى بيتاً يعتني بتخصيص ميزانية بســـيطة لتكوين مكتبة منزلية صغيرة، وقلما نـــرى والدًا أو والدة يخصصان جانباً من وقتهما للمطالعة. في هذا الوســـط الذي لا يعرف الكتاب، يشب الطفل ضيق الأفق محدود الخبرة، فقير اللغة، مقطوع الصلة بالكتاب، زاهداً في المطالعة.

لقد دلَّت التجارب على أن الأطفال قراء ممتازون يحبون القراءة بدافع حب الاســـتطلاع، لكن هذا الدافع يذوي إذا لم تقدر الصعوبة الأساســـية في إعداد الكتب المناســـبة تقديرًا واضحاً، وهذه الصعوبة تتمثل في أن الأطفال حين يقرؤون، إنما يفعلون ذلك لأنهم يســـتمتعون بالكتب التي تستهويهم

وتثيرهـــم. وتقودهم متعة القـــراءة إلى أن يخطوا خطوة إلى الأمام نحو اكتشاف المجهول ونحو آفاق جديدة.

يتضح مما تقدم أن المسؤولين عن إنتاج الكتب الخاصة بالأطفال يجب أن يؤمنوا بمبدأين مهمين:

المبدأ الأول: هو أن شـــكل الكتاب جـــزء من موضوعه، فالصور والرســـوم ووضوحها أو أنماطها، وألوانها المعبرة أو المشـــوقة، وموضع ذلك من الكلام، وموضع الكلام نفسه منها، كل ذلك يعد جزءًا من مـــادة الكتاب الأدبية والعلمية، وقطع الورق ونوعه وحروف الطباعة والفواصل بين الكلمات واتســـاع الهوامش أو ضيقها، كل ذلك أيضاً يشكل جزءًا من مادة الكتاب العلمية والأدبية، وطريقة تجليد الكتاب هي التي تحمـــل الطفل على احترامه والاعتزاز به، كما تعين له طريقة فتح صفحاته والإمســـاك به للقراءة مما يفرض على الطفل الإعجاب بالكتاب.

المبدأ الثاني: أن الكتاب والمؤلفين الذين يكتبون للكبار، وينجحون في ذلك، ليس حتمـــاً أن يحالفهم التوفيق عندما يتصدون للكتابة للأطفـــال، فالكاتب الناجح عند الطفل هو من يســـتطيع النظر إلى العالم من خـــلال عيونه، أي الذي يستطيع تصوير الأشياء كما يراها الطفل، لا كما يراها هو، وهذه مقدرة لا تتوفر لدى كثير مـــن المؤلفين. وللتغلب على هذه الصعوبـــة، لجأت بعض دور النشر إلى اختيار مجموعة من الكتاب الشـــبان للتخصص في الكتابة للأطفال ليكونوا بمثابة صف ثانٍ لكبار الكتاب المعدودين المتخصصين في هذا المجال. وبعد عملية الاختيار يسَّرت لهم كل سبيل يساعدهم على تربية قدراتهم في التأليف.

وبناءً على ما تقدم، نشـــير إلى بعض أهم الشروط لنجاح كتاب الأطفال باللغة العربية:

العناية بإخراج الكتاب من حيث التغليف الجذاب وقطع الكتاب وحجمه المناسب، والطباعة، والورق، والصور.

من هذه الناحية لا تزال كتب الأطفال العربية بعيدة جدًا عن المستوى الذي بلغته دور النشر العالمية. مع ذلك نشير إلى أن بعض التحسن قد طرأ على إنتاج كتب الأطفال، وأن بعض العناية قد وجهت لرفع مستواها في بعض البلاد العربية.

أما من حيث المضمون؛ فالظاهرة اللافتة للنظر في العالم العربي هي عـــدم وجود دور نـــشر متخصصة تطبع أدب الأطفال وتوزعه دون أن تضع نصب أعينها الربح المادي قبل فائدة الأطفال.

وثمة ملاحظـــة أخرى هي أن «القصـــة» لا تزال تحتل المقام الأول في الإنتاج الأدبي، يكفي أن نلقي نظرة عابرة على لوائح المطبوعات والدوريات حتـــى نتأكد من ذلك، ويرجع ذلك إلى سهولة التأليف للقصة، علماً بأننا إذا طبقنا المعايير الفنية، والأدبية واللغوية والسياسية والتربوية، وجدنا معظم القصص غير صالحة إن لم تكن ضارة بســـبب افتقارها إلى الفكرة الجيدة الملائمة، وإلى الأســـلوب البسيط الممتع، وإلى الإخراج الجميل، وحتى اللغة الصحيحة في كثير من الأحيان، يضاف إلى ذلك أن الأغلبية العظمى من هذه القصص مترجمة.

وقد يُلاحظ أيضاً أن بعض هذه القصص تركز على الحظ والمصادفة وافتعال الحوادث وتمجيد الفرد، إلى جانب السحر والجن والعفاريت، دون أن يكون ثمة هدف واضح من وراء ذلك.

وهذه ظاهرة لها خطرها لأنها تغرس في نفوس الأطفال الاعتقاد بأن النجاح في الحيـــاة لا يعتمد على العمل والجهد والمثابرة والدراســـة، بقدر ما يعتمد على الحظ أو على الخاتم الســـحري وأعمال الجان. وثمة ظاهـــرة ثالثة تحمل نتائج مريعة، هي ظاهـــرة الكتابة باللغة العامية في بعض الأقطار العربية، زعماً بأن الأطفـــال لا يفهمون الفصحى، وهو زعم بريء لكنه ينطوي على خطورة تخص هوية الطفل وانتماءه إلى لغته.

وختامًا فإن الكتب التي تصـــدر في البلاد العربية كثيرة من حيث الكم، لكنها لا ترتقي إلى المستوى المطلوب من حيث الكيف.

وما ظهر من محاولات في العنايـــة بكتب الأطفال، كان ســـبباً في رفع تكلفة الكتب بصورة غير مقبولة، فاقتصرت قراءتها على فئة ميسورة.

عرض كتاب

هكذا أنصف تودوروف الإسلام والمسلمين!

د. التجاني بولعوالي
جامعة لوفان بلجيكا

إن النظرة إلى كل أجنبي عن الحضارة الأوروبية والغربية على أنه بربري، وأن الإنسان الأبيض أفضل من الإنسان الأسود أو الأحمر، وأن الثقافة الأوروبية متحضرة وغيرها متخلف، هي في الحقيقة أحكام مسبقة وصور نمطية تكاد تنقلب إلى مسلمات في التاريخ الأوروبي. ويسعى المفكر تزفيتان تودوروف في كتابه الماتع «الخوف من البرابرة» إلى تقويض الكثير منها عبر مساءلة العقل الأوروبي بتجرد علمي وصراحة صادمة، وهو يثبت بأنه ليس ثمة ثقافة متوحشة في حد ذاتها، وأن أي ثقافة لا تظل دومًا متحضرة. كما أن الذي يثمن التعامل على أساس أخلاقي متحضر لا يمكن أن يسكنه الخوف من البرابرة، وهو يقصد بذلك الغرب الذي يعبر دوما عن خوفه من الآخر البربري، وما هذا الخوف إلا انعكاس لتعامله اللا متحضر مع من يسميهم البرابرة!

وقصد استيعاب هذه الرؤية ينبغي التريث عند تعريف تودوروف لمصطلح البربرية (أو الوحشية والهمجية). فبعد تفكيكه لمختلف معاني هذا المصطلح، ارتأى أن يعتمد المعنى الذي مؤداه أن البربرية هي إنكار (عدم الاعتراف) الإنسانية الكاملة للآخر. ويعود أصل هذا التعريف إلى اليونان، حيث كان يُطلق البرابرة على من ينكر إنسانية الآخرين الكاملة، وهذا هو الفارق الجوهري بينهم وبين الغير، فهم يخرجون بذلك الآخر من دائرة الإنسانية.

ثم إن تودوروف يعتقد أن مقياس التحضر يتعلق بطبيعة سلوك الناس وليس بإنتاج المنتوجات الثقافية والآليات التكنولوجية، لأنها ترتبط بالرفاهية وليس بالفضيلة والأخلاق. ويدعم تفسيره هذا بوقائع من التاريخ الأوروبي كالإبادة الجماعية التي تعرض لها اليهود على يد النازية، والقنابل الذرية التي راح ضحيتها الأبرياء، ليؤكد بأن الوحشية أو البربرية يمكن أن توجد في كل مكان، بما يفند حجج أولئك الذين يرون أن حضارة ما تتفوق على غيرها على أساس ما هو ثقافي.

هذا إن عبر عن شيء، فإنه يعبر عن أن تودوروف يظل كعادته متمسكًا بمبضع النقد التاريخي، وهذا ما يسلكه في هذا الكتاب حيث يخلخل العديد من المفاهيم والمسلمات المتداولة في السياسة والإعلام. وهو يرى أن

القيم الإنسانية كالحرية والمساواة والعلمانية وحقوق الإنسان لا يمكن أن تُنزل على أرض الواقع عن طريق الإكراه. فإذا كانت هناك إرادة فعلية لتحقيق هذه المبادئ، فيجب أولاً البدء بإزالة التدخلات في شؤون البلدان الأخرى، ودعم الفلسطينيين لإنشاء دولتهم المستقلة. وحتى يتسنى لنا توجيه اهتمام شعوب هذه البلدان إلى قضاياهم الداخلية، ينبغي رفع مختلف الأسباب الخارجية عنهم، التي يعتبر الغرب هو المسؤول عنها.

وعلى النحو نفسه، يمضي الكاتب في معالجته لعلاقة الإسلام بالغرب، إذ يمكن اعتبار كتاب الخوف من البرابرة شهادة إيجابية أخرى في حق الإسلام، خطها قلم مفكر غربي من العيار الثقيل لينصف بها المجتمع الإسلامي الذي يتعرض منذ عقود لضربات الإعلام والسياسة. وتعتبر هذه الشهادة سيفًا ذا حدين؛ أولهما يحمل ردًا مفحمًا على صناع نظرية الصراع الحضاري ومروجيها وداعميها، من أمثال هنتنغتون وبرنارد لويس وفالاشي، الذين يرون في الإسلام خطرًا أخضر وتهديدًا «بربريا» يحدق بالمجتمعات الغربية المتحضرة، لذلك يتحتم اجتثاث الجذور التي تُغذي ذلك التهديد عن طريق مختلف آليات المواجهة الحادة والمحتدمة. وثانيهما يرد الاعتبار للإسلام دينًا وأتباعًا.

يقول تودوروف في هذا الصدد: لقد تم اختزال المسلمين الذين يصلون إلى المليار نسمة ويسكنون في عشرات البلدان في الإسلام فحسب، (وهو يقصد بذلك البعد الديني دون غيره من الأبعاد) كأن المسلمين مختلفون كليًا عن الشرائح الإنسانية الأخرى، ولا يمكن فهم سلوكياتهم إلا من خلال نظارة الدين. ثم إن الإسلام يُختزل كذلك في الإسلام السياسي والإرهاب، فابن لادن يعبر بشكل أقل عن حقيقة الإسلام، بالضبط كما يعبر هتلر عن حقيقة الغرب، بل ويعبر عن ذلك أقل بكثير من المسلمين كلهم. ثم يستطرد مؤكدًا أنه لا داعي لهذه الهجمات على الإسلام، فهي غير ضرورية إذا كنا نطمح إلى الاندماج في مسار الديمقراطية، كما أنه يكفي أن نفصل بين ما هو ديني وما هو سياسي، هذا الفصل الذي ليس بغريب عن الدين الإسلامي. وأكثر من ذلك، فإن القرآن يتضمن العديد من النصوص التي لا تتعارض والديمقراطية.

ولا يقف تودوروف عند هذا الحد، بقدر ما يشير إلى أنه يمكن المراهنة على فئة مهمة داخل المجتمع الإسلامي، تدعو إلى إسلام منفتح ومتنور يستثمر مختلف الإمكانات النصية والثقافية والاجتماعية التي تحض على التسامح والاحترام والحوار. فهو يستكنه أن الإسلام ليس واحدًا، وأنه لا يمكن اختزال كل المسلمين في كتلة متجانسة. حقًا إن خطر التعميم وارد، غير أن الدلائل التاريخية تفند ذلك من الأساس، إذ إنه سبق للمسلمين أن استقروا في الكثير من البلدان غير الإسلامية، فتفاعلوا مع القوانين المعتمدة هناك واحترموها دون أي مشكل.

خلاصة القول، إن كتاب الخوف من البرابرة يستحق وصفه بـ«القيم»، لأنه يعتبر من الدراسات العلمية النادرة التي اشتغلت بجرأة نقدية على النرجسية الغربية، فعملت على تشريح مختلف قضاياها، سواءً على المستوى التاريخي الممتد من المرحلة اليونانية إلى العصر الحديث، أم على المستوى الواقعي بما ينطوي عليه من إشكالات ويسفر عنه من مستجدات. وقد حظي الإسلام بحيز عريض عبر معظم فصول ومباحث وفقرات الكتاب، ما دام يشكل اليوم الهاجس الأكبر الذي يشغل بال الدوائر السياسية والإعلامية والأكاديمية الغربية، إلا أن تودوروف لم يؤول الإسلام على أنه مدعاة للخوف، بقدر ما دعا إلى التعامل بموضوعية مع المكون الإسلامي داخل المجتمعات الغربية، فأنصف بذلك الإسلام والمسلمين في أكثر من مناسبة وموضع، وهو يركز على الدور الحضاري الذي أداه الإسلام ولا يمكن إنكاره أو تجاهله، كما يتضح من خلال الفقرة الآتية التي يرد فيها على بابا الفاتيكان السابق: «إن الفضل يرجع إلى ابن رشد وغيره من العلماء المسلمين في نقل تراث الفكر اليوناني إلى اللاهوتيين والفلاسفة الأوروبيين، وخصوصا توما الإكويني الذي وفق في القرن الثالث عشر ما بين الفلسفة (الأرسطية) والدين (المسيحي). إن بنيديكتوس السادس عشر (يقصد البابا) يستلهم توما الإكويني، غير أن توما الإكويني لم يكن يجهل ابن رشد المسلم».

الصيام في زمن كورونا

بقلم: د. محمد تاج العروسي

صادف قدوم شـــهر رمضان المبارك في هذه السنة الفترة التي وصل فيها انتشـــار فيروس كورونا ذروته في العالم، وأدى ذلك إلى تعطيل المواصلات، وتوقف الأعمال التجارية بمختلف الأنواع، وفـــرض الدول الحجر الصحي للحد من انتشـــاره، ودعوة الناس لتجنب أماكـــن الازدحام، وإلغاء الحفلات والتجمعات الدينية.

في ظل هذه الظروف التي مر بها العالم صام المســـلمون شـــهر رمضان المبارك بصورة فريـــدة في نوعها، فمرض كورونـــا وإن كان محنة في الظاهر لكنه لم يخل من بعض المنح الربانية. فقد تحققت للصائمين المعاني المقصودة من مشروعية الصوم، من تحقيـــق العبودية لله تعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتحرر من ســـلطان الغريزة، وكبـــح جماح الشـــهوات، والإعراض عن شـــواغل الدنيا ومغرياتهـــا، والاكتفاء بالضرورات اليومية، والبعد عن كل ما يفســـد أجر الصوم من الأقوال والأفعال بالاعتكاف في البيوت، والتضرع إلى الله تعالى بالدعاء، والإكثار من تلاوة القـــرآن، وأداء صلاة التراويح مع أفراد الأسرة، والتفكير في الآخرة وأحوال يوم القيامة.

هكذا أصبحت أوقات شهر رمضان هذه السنة مملوءة بما يرضي الله من الطاعات والعبادات، والبعد عن كل ما يعكر صفو عبادة الصوم من المعاصي والمحرمات، وتحقق معنى التقوى الشامل لهذه المعاني كلها، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَـــلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ».

ومعنى كتب عليكم الصيام أي فرض الإمســـاك عن الأكل والشرب والجماع وســـائر المفطرات، وذلك بالحفاظ على الأعضاء التي جعلها الله أعوانًا للقلب، ومنعها من المعاصي، فتمنع العين عن النظر إلى كل ما حرم الله عليها، وتســـد الأذن عن سماع قول الزور وأقوال الخنا والفجور، ويحفظ اللسان من الغيبة والنميمة واليمين الكاذبة، وتمسك الأيدي عن السرقة وإعانة الظالمين، وتقيد الرِّجل عن الحركة إلى أي مكان حرَّمه الله عزَّ وجلَّ.

يقول ابن القيِّم رحمه الله: «وللصوم تأثيرٌ عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحِمايتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واســـتفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصومُ يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويُعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العونِ على التقوى» زاد المعاد ٢/ ٢٩.

ويقول الإمام الكمال بن الهمام «إنَّ الصوم يســـكن النفس الأمَّارة بالسوء، ويكسر سورتها في الفضول المتعلقة بجميع الجوارح، من العين واللسان والأذن والفرج؛ ولذلك قيل: إذا جاعت النفس شـــبعت جميع الأعضاء، وإذا شبعت جاعت كلُّها». شرح فتح القدير ١/ ٣٤٠.

وقد ســـاهم في تحقيق هذه المعاني للصوم الحجْرُ الصحي الذي حال دون الاختلاط بين الناس عامة، فَحَفِظَ من وفقه الله من الصائمينَ جوارحَهُم عن المعاصي والآثام، وابتعدوا عن كل ما ينقص أجر صومهـــم أو يبطله بقطع العلائق، وتجريد الهمـــة، ودوام المراقبة، ومراعاة الخواطر، وحفظ الأوقات من أن تذهب سدى بدون فائدة.

وهذه المعاني بعينها هي المقصودة من مشروعية الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان، فهو قطع العلائق عن كل الخلائق للاتصال بخدمة الخالق.

بقي أن نشير إلى أهمية الحفاظ على هذه المكتسبات التي تحققت للصائمـــين في ظل الحجر الصحي، وأخذ الدروس من هذا المرض الـــذي أدخل الرعب في قلوب الناس، وجعل كل واحد يبحث عن الســـلامة والعافية لنفســـه، ويخاف القرب من المريض حتى ولو كان مـــن أقرب أقاربه، وهو مشابه لما حكى الله لنا من أحوال الناس يوم القيامة، يقول الله تعالى: «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ»؛ لأن الهول عظيم والخطـــب جليل، ولكل امرئ يومئذ حال يشغله عن الأقرباء، ويصرفه منهم.

من الفن الإسلامي